موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

ندوات تلفزيونية

الدين والحياة
ومضات فقهية
على خلق عظيم

ندوات تلفزيونية - قناة دنيا - الدين والحياة - الدرس (1-6) : قصة سفانة بنت حاتم الطائي
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة سفانة بنت حاتم الطائي مع النبي الكريم :

قصة لعلها ترفع معنويات المسلمين ، النبي عليه الصلاة والسلام عقب بعض الغزوات وقف ليستعرض الأسرى فوقفت امرأة أسيرة وقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن علي منّ الله عليك ، وخلِّ عني ، ولا تشمت بي أحياء العرب ، فإن أبي كان سيد قومي ، يفك العاني ، ويعفو عن الجاني ، ويحفظ الجار ، ويحمي الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ويحمل الكَلَّ(الضعيف) ، ويعين على نوائب الدهر ، وما آتاه أحد بحاجة فرده خائباً ، أنا بنت حاتم الطائي ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام :

((يا جارية ، هذه صفات المؤمنين حقاً ، ثم قال : خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق))

ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام ، دققوا في هذا الحديث :

((ارحموا عزيز قوم ذلّ ، وغنياً افتقر ، وعالماً ضاع بين جهّال))

[ذكر هذه القصة ابن هشام في سيرته ، والطبري في تاريخه]

فاستأذنته بالدعاء ، وقالت : أصاب الله ببرك مواقعه ، ولا جعل الله لك إلى لئيم حاجة ، ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا جعلك سبباً في ردها .

خصال النبي عليه الصلاة والسلام :

أيها الأخوة ، نتابع القصة ورجعت إلى أهلها ، وقالت لأخيها عدي بن حاتم : ائتِ هذا الرجل ، فإني قد رأيت هدياً ، ورأياً يغلب أهل الغلبة . أي الأخت نصحت أخاها أن يلتقي بالنبي عليه الصلاة والسلام وكان أخوها ملكاً ورث الملك عن أبيه حاتم طي.

هكذا قالت سفانة بنت حاتم طي : رأيت فيه خصالاً تعجبني ، رأيته يحب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ، وما رأيت أجود ولا أكرم منه ، وإن يكن نبياً فللسابق فضله ، وإن يكن ملكاً فلا تزال في عزّ مُلكه ، قيل وأسلمت .

هذه المرأة الفصيحة الحصيفة بنت حاتم طي ، كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام قدر مشاعرها وقدر أباها وفكّ أسرها وقال :

((ارحموا عزيز قوم ذلّ ، وغنياً افتقر ، وعالماً ضاع بين جهّال))

وكيف أنه أطلقها ، وحملها ما تحتاج إليه ، وأكرمها ، بل وبالغ في إكرامها ، فلما وصلت إلى أهلها والتقت بأخيها عدي بن حاتم طي نصحته أن يلتقي بالنبي عليه الصلاة والسلام ، وكيف تحدثت عن أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام ، كيف أنه يحب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ، وما رأيت أجود ولا أكرم منه ، ثم توقعت أنه نبي كريم فإن لم يكن نبياً كريماً فهو ملك ، ففي إحدى الحالتين ينتفع أخوها من اللقاء مع هذا النبي عليه الصلاة والسلام .

قدوم عدي بن حاتم الطائي على النبي الكريم و التساؤل الذي حكّ في نفسه :

استجاب لها أخوها ، وقَدِمَ إلى المدينة وهو يظن أنه سيلقى ملكاً فقال : دخلت على محمد صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد ، فسلمت عليه فقال : من الرجل ؟ فقلت عدي بن حاتم ، فقام وانطلق بي إلى بيته ، وهذا إكرام بالغ أن تستضيف الإنسان في بيتك.

فقام وانطلق بي إلى بيته ، يقول عدي بن حاتم فوالله إنه لعامد بي إليه ، يعني نحن في طريقنا إلى البيت ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة في الطريق فاستوقفته ، فوقف طويلاً تكلمه في حاجتها ، هو بين أن يظن أن هذا النبي الكريم نبي مرسل وبين أنه يظن أنه ملك ، قال : ثم مضى بي حتى دخل بيته ، فتناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقذفها إليَّ فقال : اجلس على هذه قلت بل أنت ، قال بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرض ، عجيب هذا التواضع هو سيد الخلق وحبيب الحق ، بيته متواضع ، ليس في بيته من أثاث إلا هذه الوسادة ، وأخذه إلى بيته ، وفي الطريق استوقفته امرأة ضعيفة فوقف طويلاً تكلمه في حاجتها ، هو في نفسه قال والله ليس هذا أمر ملك .

الله عز وجل خلق الإنسان ليسعده بشرط أن يطبق منهج الله ليستحق وعود الله :

الآن الشاهد من هذه القصة هذه المقولات الثلاث التي قالها النبي عليه الصلاة والسلام ، قال له : لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من فقرهم ، المسلمون أفقر شعوب العالم الآن ، وكأن التاريخ يعيد نفسه ، حينما ترى المجتمع الإسلامي فقير ، يعاني مما يعاني وهو معه حق السماء ،

معه الحق الصراح ، هناك من يستنكف أن يقبل هذا الدين حينما يرى المسلمين في تخلف وفي فقر وما إلى ذلك .

قال له : لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من فقرهم ، فو الله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، وقد حصل هذا في عهد عمر بن عبد العزيز .

فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، الاحتمال الثاني ولعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم ، العالم كله الآن يُحارب المسلمين في كل بقاع الأرض ، ما هذا العداء الدفين ؟ ما هذا الحقد الذي لا يوصف ؟ ماذا فعل المسلمون ؟

ولعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم ، وقلّة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها فتزور هذا البيت لا تخاف ، أمن مستتب ، والأمور مريحة ، والخيرات وفيرة ، وبلدة طيبة ، ورب كريم ، والله سبحانه وتعالى خلقنا ليسعدنا لكن نحن حينما لا نطبق منهج الله عز وجل هذه الوعود الرائعة في القرآن لا نستحقها ، ألم يقل الله عز وجل :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً)

(سورة النور الآية : 55)

لماذا هذه الوعود لم تتحقق ؟ لأن الله عز وجل يقول

(يَعْبُدُونَنِي)

فإذا ترك المسلمون عبادة الله لا أعني أنهم تركوا الصلاة ، لكن المنهج الإلهي منهج واسع جداً كله افعل ولا تفعل ، فإذا تنكر المسلمون لمنهج ربهم ، واكتفوا بالإطار الخارجي لهذا الدين ، يعني هان أمر الله عليهم التفصيلي فهانوا على الله .

زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين :

أيها الأخوة ، ينبغي أن ننتبه إلى أن الإنسان حينما يقرأ القرآن الكريم يجد أن وعود الله عز وجل رائعة:

(وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)

(سورة الصافات)

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة غافر الآية : 51)

(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الروم)

(وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً)

(سورة النساء)

ما الذي حصل ؟ ثم يقول النبي عليه الصلاة والسلام : ولعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين أنك ترى المُلك والسلطان في غيرهم ، فو الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم ، وأن كنوز كسرى قد صارت لهم .

هذه الوعود أيها الأخوة ، وعود خالق السماوات والأرض والله الذي لا إله إلا هو زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين ، ولكن هذا النصر الذي نتوقعه ونرجوه وتصبو أنفسنا إليه له ثمن ، ثمنه واضح قال تعالى :

(وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ)

(سورة الأنفال الآية : 10)

النصر بيد الله وحده ما ثمنه ؟ قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ)

(سورة محمد الآية : 7)

من اصطلح مع الله و أدى واجبه تجاه هذا الدين العظيم استحق نصر الله تعالى :

نتابع القصة يقول عدي بن حاتم فأسلمت ، ولقد عمّر عدي حتى رأى بنفسه كيف تحققت كل بشارات النبي عليه الصلاة والسلام ، يعني أنا أقول إله الصحابة الذي نصرهم إلهنا ، والدين هو هو ، والنبي هو هو ، والقرآن هو هو ، والكرة في ملعبنا وحينما نعقد العزم على أن نصطلح مع الله ، وعلى أن نؤدي واجباتنا تجاه هذا الدين العظيم ، وعلى أن نعبد الله العبادة التي أرادها فالنصر محقق وآت إن شاء الله .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة دنيا - الدين والحياة - الدرس (2-6) : التقوى علة الصيام
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 19-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون التقوى :

أعزائي المشاهدين ... أخوتي المؤمنين ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، هذا الدين العظيم عقائد وعبادات ومعاملات وآداب ، فالصيام يعد ثاني أكبر عبادة في الإسلام ، فالله سبحانه وتعالى يقول :

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183))

(سورة البقرة)

ما التقوى ؟ لابدّ من مقدمة .

التقوى طاعة الله عز وجل و اتقاء غضبه :

الله عز وجل يقول :

(فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)

(سورة طه)

لا يضل عقله ، ولا تشقى نفسه . والله عز وجل يقول :

(فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

(سورة البقرة)

فالذي يتبع هدى الله هو المتقي ، التقوى أن تخضع لمنهج الله ، التقوى أن تطيع الله ، التقوى أن تتقي غضب الله ، التقوى ألا تتعرض لسخط الله ، التقوى ألا تتعرض لعقاب الله ، فلذلك التقوى بشكل واسع هي طاعة الله عز وجل أو بالمعنى الضيق أن تتقي غضب الله عز وجل .

من لم يتبع رضوان الله عز وجل فهو معرض لكثير من المخاطر :

أيها الأخوة الأحباب ، الإنسان في حياته الدنيا إن لم يتبع هدى ربه مُعَرض لكثير من المخاطر ، فالدنيا خضرة نضرة سمها في دسمها ، فيها منزلقات ومتاهات ، مالها يغري ، نساؤها تفتن ، نساؤها حبائل الشيطان ، الأهل والولد مشغلة مجبنة مبخلة ، الشهوات فيها مستعرة بأبهى حللها ، الفتن فيها يقظى في أجمل أثوابها ، الآن كيف يتقي الإنسان الضياع في تلك المتاهات والضلالات ؟ كيف يتقي الإنسان

الانجذاب إلى هذه الفتن المهلكات ؟ كيف يتقي الإنسان خطر الانغماس في تلك الشهوات ؟ كيف يتقي الإنسان صعوبة المزاحمة في جمع الدراهم والثروات ؟ كيف يتقي الإنسان شقاء الدنيا والآخرة ؟ التقوى هي علة الصيام ، التقوى هي الحكمة التي أرادها الله من الصيام .

الله عز وجل أهل للتقوى لأن مصيرنا بيده و أمره نافذ فينا :

أيها الأخوة الأحباب ، بادئ ذي بدء الله جلّ جلاله هو الخالق ولا إله غيره ، وهو أهل للتقوى ، لذلك يقول الله عز وجل :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ (21))

(سورة البقرة)

لماذا الذي خلقكم ؟ هل هناك من جهة تستحق العبادة إلا الخالق ؟ هل هناك من جهة خبيرة في حقيقة النفس ، في وسائل سلامتها ، في أسباب سعادتها ، إلا الله عز وجل ؟ لذلك تأتي الآية الكريمة :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ (21))

(سورة البقرة)

أيعقل أن تطيع مخلوقاً وتعصي الخالق ؟ أيعقل أن تخشى الناس ولا تخشى الله ؟ أيعقل أن تهتدي بتصورات البشرية الخاطئة ولا تهتدي بهدى الله عز وجل ؟ لذلك يقول الله عز وجل :

(أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ (52))

(سورة النحل)

إنه استفهام تعجبي :

(أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ (52))

(سورة النحل)

ولكن نحن نعبد الله لأن مصيرنا بيده ، ولأننا في قبضته ، ولأن أمره نافذ فينا ، كن فيكون زل فيزول، ولكن هناك معنى دقيق جداً هو بذاته العلية أهل للتقوى ، يعني أهل أن تفني شبابك من أجله ، أهل أن تتجه إليه ، أهل أن تخطب وده ، أهل أن تضحي من أجله بالغالي والرخيص والنفس والنفيس .

الإيمان بالله عز وجل طريق الإنسان إلى التقوى :

لذلك :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

(سورة البقرة)

(أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ (52))

(سورة النحل)

(هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ(56))

(سورة المدثر)

ولكن أيها الأخوة ما طريق التقوى ؟ نحن في علة الصيام ، ما طريق التقوى ؟ قال تعالى :

(وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ(57))

(سورة المائدة)

اتقوا غضبه ، اتقوا معصيته إن كنتم مؤمنين ، ينبغي أن تؤمنوا به أولاً ، ينبغي أن تؤمنوا بالله الواحد القهار ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ينبغي أن تؤمنوا بالذي بيده ملكوت كل شيء ، أن تؤمن بمن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، ينبغي أن تؤمن لمن إليه يرجع الأمر كله ، فلذلك الآية الكريمة :

(وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ(57))

(سورة المائدة)

ينبغي أن تؤمنوا به أولاً حتى تعلموا المضار الجسيمة التي تأتي من معصيته والإكرامات التي لا حدود لها التي تأتي من طاعته .

التفكر في آيات الله الدالة على عظمته طريق معرفة الله و البعد عن غضبه :

أيها الأخوة الكرام لازلنا في التقوى ، الآن كيف نعرفه ؟ قال تعالى :

(إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ(6))

(سورة يونس)

إذا تفكرنا في خلق السماوات والأرض ، تفكرنا في المجرات ، تفكرنا في النجوم ، في الكواكب ، في الليل ، في النهار ، في الشمس ، في القمر ، في البحار ، في الأنهار ، في البحيرات ، في الأطيار ، في الأسماك ، في خلق الإنسان ، في النباتات ، إذا تفكرنا في هذه الآيات الدالة على عظمته نعرف قدرته ، ونعرف غناه ، عندئذ نتقي أن نقع تحت غضبه.

أسباب بلوغ التقوى :

1 ـ القول السديد الصادق :

أيها الأخوة الأحباب ، الكون آياته الكونية ، وأفعاله آياته التكوينية ، قال تعالى :

(قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)

(سورة الأنعام)

الكون آياته الكونية ، خلقه وأفعاله آياته التكوينية ، والقرآن آياته القرآنية ، فنحن نتفكر في آياته الكونية، وننظر في آياته التكوينية ، ونتدبر آياته القرآنية ، أيها الأخوة ، أحد أسباب التقوى أن نقول قولاً سديداً أي لا نكذب ، أن نكون صادقين مع أنفسنا ، أن نقول الحقيقة ولو كانت مرة ، لذلك قال تعالى :

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(70)يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(71))

(سورة الأحزاب)

أحد الصحابة سأل النبي عليه الصلاة والسلام :

((وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فقال : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))

[أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجه والحاكم عن معاذ]

((لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

وقد عدّ الإمام الغزالي أكثر من عشرين معصية يقترفها الإنسان ، فإن الرجل يتكلم بكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً .

2 ـ العيش مع المؤمنين و الاختلاط بهم و الاستقامة على أمر الله :

أيها الأخوة ، قال تعالى :

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(70)يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(71))

(سورة الأحزاب)

أحد الأسباب أن تقول قولاً سديداً ، وأحد الأسباب أن تعيش مع المؤمنين ، أن تختلط معهم :

((لا تصاحب إلا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي))

[أخرجه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن حبان ، والحاكم ، عن أبي سعيد]

لا تصاحب إلا من ينهض بك إلى الله حاله ، ويدلك على الله مقاله ، صاحب من هم أقوى منك إيماناً تستطيع أن تنافسهم ، وأن تقتدي بهم ، وأن يكونوا أسوة لك ، لذلك أيها الأخوة هناك آية واضحة يقول الله عز وجل :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ)

(سورة التوبة)

الوسيلة وكونوا مع الصادقين ، إن كنتم في أجواء إيمانية ، مع أناس مؤمنين ، ورعين ، يحبون الله ورسوله ، وقافين عند حدود الله ، ينصحونكم بالطاعة ، ينفرونكم من المعصية ، يحببون إليكم الآخرة ، ينفرونكم من الدنيا ، أحد وسائل بلوغ التقوى ونحن في شهر علته التقوى أن تكون مع الصادقين .

3 ـ الأعمال الصالحة :

في آية أخرى يقول الله عز وجل :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ (35))

(سورة المائدة)

لابدّ من وسيلة تنقلك إلى الله ، قال علماء التفسير من هذه الوسائل الأعمال الصالحة :

(وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ (10))

(سورة فاطر)

4 ـ صحبة الصالحين :

من هذه الوسائل صحبة الصالحين :

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً (28))

(سورة الكهف)

فلابدّ من بيئة صالحة ، فلابدّ من مجتمع مؤمن ، تسوده المحبة ، يسوده الإخاء ، يسوده التناصح ، يسوده الود ، لابدّ من مجتمع مؤمن يحضك على طاعة الله ، يقربك إلى الله ، ينفرك من المعصية .

إكرام الله عز وجل الإنسان بشهر رمضان :

لذلك :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ)

(سورة التوبة)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ (35))

(سورة المائدة)

فالوسيلة صحبة الصالحين ، الوسيلة العمل الصالح ، الوسيلة الاستقامة التامة على أمر الله .

أيها الأخوة الكرام ، هذا موضوع دقيق نحن في شهر أكرمنا الله بقيام ليلته ، وكرم الله عز وجل يقتضي أن يأمرك بأمر وأن يعطيك علته ، الآية الكريمة :

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183))

(سورة البقرة)

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة دنيا - الدين والحياة - الدرس (3-6) : قصة جابر بن عبد الله
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

القصص :

هذه القصة هي قصة جابر أحد أصحاب رسول الله وكان شاباً وقد اشترك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة اسمها غزوة ذات الرقاع ، وفي طريق العودة حصلت هذه القصة ، و إليكم هذه القصة حتى نرى ما مقام النبوة ؟ ما مقام النبي عليه الصلاة والسلام ؟

قصة جابر بن عبد الله مع النبي الكريم :

عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع ، مرتحلاً على جمل لي ضعيف (جمله ضعيف) ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعلت الرفاق تمضي (أي تسبقني) وجعلت أتخلف عنهم(لأن جمله ضعيف) ، إذاً شاب يركب جملاً ضعيفاً في طريق العودة تخلف عن أصحابه .

حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان النبي عليه الصلاة والسلام يتفقد أصحابه جميعاً وهذا من رحمته على أصحابه ، لأن مقام النبوة مقام متعدد النواحي ، علم ، وصلة ، ورحمة ، وتواضع ، الآن جرى حوار بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين هذا الشاب الذي اسمه جابر .

فقال النبي عليه الصلاة والسلام ما لك يا جابر لماذا أنت متخلف عن الركب ؟ قلت يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا ، قال : فأنِخْهُ ، وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم جمله ، وأنخت جملي ثم قال : أعطني هذه العصا من يدك ففعلت ، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخس بها الجمل نخسات (أي وخزه بها) ، ثم قال : اركب ، فركبت ، فانطلق جملي ، والذي بعثه بالحق صار جملي يجاري ناقة رسول الله ، وتحدث معي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

صفات النبي الكريم :

من صفات النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان من رآه هابه ، ومن عامله أحبه ، ومن صفات النبي عليه الصلاة والسلام أن كل صحابي كان يظن أنه أقرب الناس إلى رسول الله ، هؤلاء العظماء كل من

خالطهم ، وجلس إلى جانبهم ، وعاملهم ، يشعرونه أنه أقرب الناس إليهم ، فهذا الشاب الصغير جابر ، النبي عليه الصلاة والسلام اهتم بجمله ، وأناخ جمله ، ووكز جمله، وسأله عن أحواله ، الذي حصل قال : صار جملي يجاري ناقة رسول الله ، وتحدث معي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أتبيعني جملك هذا يا جابر ؟ ما أدري لماذا قال النبي ذلك ؟ قلت يا رسول الله ، بل أهبه لك ، قال لا ولكن بعنيهُ، قلت فسُمْني به ، قال أخذته بدرهم ، قلت : لا ، إذاً يغبنني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فبدرهمين ، قلت : لا ، فلم يزل يرفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الثمن حتى بلغ الأوقية .

أرحم الخلق بالخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أرأيت إلى هذا الحوار ، والمداعبة ، والتواضع ، لهذا الشاب . فلم يزل يرفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الثمن حتى بلغ الأوقية . فقلت : قد رضيت ، قال : قد رضيت ، قلت : نعم هو لك ، ثم قال لي : يا جابر هل تزوجت ؟ الأب يسأل أولاده عن أحوالهم ، والنبي عليه الصلاة والسلام حينما قال الله عز وجل :

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128))

(سورة التوبة)

حتى قال بعض العلماء : إن أرحم الخلق بالخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال لي : يا جابر هل تزوجت ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال أثيباً أم بكراً ؟ قلت : بل ثيباً ، قال أفلا تزوجت بكراً ؟ قلت : يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد ، أي استشهد ، وترك سبع بنات له ، فتزوجت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن ، كلام رائع يعني أنا بحاجة لا إلى زوجة بكر بحاجة إلى زوجة خبيرة بشؤون البيت ترعى أخواتي .

فتزوجت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن ، وتقوم عليهن ، فقال : قد أصبت إن شاء الله ، انظر إلى الحوار ، تمنى عليه شيئاً سمع شرحه فقبله ، فقال : قد أصبت إن شاء الله .

ثم وصل سيدنا جابر إلى بيته وأخبر امرأته بما جرى بينه وبين رسول الله ، وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت سمعاً وطاعة (أي بع جملك لرسول الله).

التفاهم بين الزوجين أساس الحياة الزوجية :

أرأيتم أيها الأخوة إلى التفاهم بين الزوجين ، أحياناً حينما يأخذ الزوج قراراً ويأتي إلى البيت ويُبلغ زوجته تقيم عليه النكير ، كيف بعت الجمل نحن بحاجة إليه ؟ ما الذي حملك على هذا ؟ قالت سمعاً

وطاعة ، هذه المرأة المؤمنة المطواعة التي تحب زوجها ، تكون معه ، تعينه ، لذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((انصرفي أيتها المرأة ، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله ـ أي يعدل الجهاد في سبيل الله))

[أخرجه ابن عساكر وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

قالت سمعاً وطاعة ، أي بع جملك لرسول الله ، قال : فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أَنَخْته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حسب الاتفاقية والحوار الذي جرى بينهما ، باعه بأوقية ، ثم جلست في المسجد قريباً منه ، قال : وخرج النبي عليه الصلاة والسلام فرأى الجمل ، قال ما هذا ؟ قالوا هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ؟ فدعيت له ، فقال : تعال يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك ، ودعا بلالاً فقال : اذهب بجابر ، وأعطه أوقية من الذهب ، يعني داعبه في مساومته .

على كل مؤمن أن يتأسى بأخلاق النبي عليه الصلاة والسلام :

أرأيت إلى هذه النفس الرضية ، إلى هذه النفس المتواضعة ، إلى هذه النفس المحبة ، مقام النبوة مقام رائع ، يقول مرة أحد أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام سيدنا حنظلة رآه الصديق سيدنا حنظلة جلس يبكي ، فرآه الصديق عليه رضوان الله فقال : ما لك يا حنظلة تبكي ؟ قال : نافق حنظلة ، نكون مع رسول الله ونحن والجنة كهاتين ، فإذا عافسنا الأهل ننسى . فانطلقا إلى رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام :

((إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا))

(كنز العمال : عن " عطاء ")

((يا حنظلة لو أنكم كنتم أبدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطريق وعلى فراشكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة))

(تخريج أحاديث الإحياء)

معنى ذلك أن هذا المقام العظيم ، هؤلاء الصحابة الذين كانوا معه ، والتقوا به وتعاونوا لنشر هذا الدين، كانوا من أسعد الناس .

لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام : اذهب بجابر أعطه أوقية ، فذهبت معه ، وأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً ، قال : فو الله ما زال ينمو هذا المال عندنا ونرى مكانه في بيتنا .

الإيمان هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان :

أيها الأخوة ، هذه أخلاق النبوة ، وينبغي أن يكون المؤمنون متأسين بأخلاق نبيهم عليه الصلاة والسلام، هذا المنهج الذي جاء به النبي وهذه الأخلاق العلية التي عامل بها أصحابه هي منهج لنا ، وعلى كل مؤمن أن يقلد النبي عليه الصلاة والسلام في أخلاقه ، فبالأخلاق ترقى الأمم ، والإيمان هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان .

ولعلي أعتقد أن رسالة النبي عليه الصلاة والسلام رسالتان ؛ رسالة قولية وأعطانا سنة افعل ولا تفعل، ورسالة عملية طريقة معاملته لأصحابه ، معاملته لهم ، تواضعه لهم ، خدمته لهم ، هو منهج لنا أيضاً ، فينبغي أن نقلد النبي عليه الصلاة والسلام في محبتنا ، وفي تواضعنا ، وفي خدمتنا لمن حولنا .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة دنيا - الدين والحياة - الدرس (4-6) : الفرق بين العبادة والطقوس
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 21-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

العبادات في الإسلام معللة بمصالح الخلق :

كما تعلمون الصيام ثاني أكبر عبادة في الإسلام ، والعبادات في الإسلام معللة بمصالح الخلق ، وفرق كبير بين العبادة وبين الطقس ، الديانات الوثنية الأرضية التي هي من صنع البشر فيها طقوس وليس فيها عبادات ، معنى الطقوس أي حركات وسكنات وتمتمات وإيماءات ، هذه الحركات والسكنات والتمتمات لا معنى لها ، تؤدى أداءً شكلياً فارغاً ، أما في الدين الذي جاءنا من عند الله فيه عبادات ، العبادات معللة بمصالح الخلق ، مثلاً :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

(سورة العنكبوت الآية : 45)

إذاً علة الصلاة أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وعلة الصلاة أن أكبر ما فيها ذكر الله ، وأن ذكر الله عز وجل يهب الإنسان الحكمة ، ويهب الإنسان الأمن والرضا والسعادة .

الزكاة :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)

(سورة التوبة الآية : 103)

فالزكاة معللة بمصالح الخلق ، والصلاة معللة بمصالح الخلق ، والصيام معلل بمصالح الخلق :

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183))

(سورة البقرة)

والحج معلل بمصالح الخلق :

(لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ (97))

(سورة المائدة)

ومتى علم العبد أن الله يعلم استقام على أمره ، وسعد بقربه وسلم في الدنيا ، ودخل جنة ربه في الآخرة.

التقوى ليست طريقاً محفوفاً بالورود ولكن التقوى تحتاج إلى جهد وصبر :

أيها الأخوة ، حينما يقول الله عز وجل :

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183))

(سورة البقرة)

هناك بعض الملامح في آيات الله التي أدرجت فيها كلمة التقوى ، قال تعالى :

(إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90))

(سورة يوسف)

ليست التقوى طريقاً محفوفاً بالورود ، ولكن التقوى تحتاج إلى صبر ، حفت الجنة بالمكاره ، وحفت الجنة بالشهوات .

((أَلَا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ، أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ))

[أحمد عن ابن عباس]

فلابدّ من بذل جهد ، لابدّ من الضبط ، لابدّ من أن توقع حركتك أيها الإنسان وفق منهج الله ، لابدّ أن تكتفي بما سمح الله لك به ، لابدّ أن تتحرك في شهوتك في المجال الذي سمح الله به :

(فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)

(سورة طه)

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ)

(سورة القصص الآية : 50)

المعنى المخالف ، الذي يتبع هواه وفق هدى الله لا شيء عليه ، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل قناة نظيفة تسري خلالها ، ليس في الإسلام حرمان ولكن في الإسلام تنظيم .

الله عز وجل يدعو كل إنسان إلى مستوى رفيع من التقوى :

إذاً التقوى تحتاج إلى صبر ، ما الصبر ؟ أن تكون بين التهور والجبن ، أن تكون بين الإسراف والتقتير ، الصبر أن توقع حركتك وفق منهج الله ، الصبر يشبه من يقود مركبة فيها محرك هي الشهوات ، فيها مقود هو العقل ، فيها الشرع هو الطريق ، فبطولة قائد المركبة أن يمسك بالمقود ليبقي هذه المركبة وهي مندفعة بقوة المحرك على الطريق ، إذاً التقوى تحتاج إلى صبر :

(إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90))

(سورة يوسف)

ولكن لابدّ من بذل كل الجهد من أجل التقوى ، يقول الله عز وجل :

(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ (16))

(سورة التغابن)

وهذه العبارة تفهم فهمين ، تفهم فهماً ما أراده الله أن تبذل بعض الجهد ،

(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ (16))

لكن المعنى الذي أراده الله أن تبذل كل الجهد ،

(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ (16))

الله عز وجل يدعونا إلى مستوى رفيع من التقوى ، أن تشكره فلا تكفره ، وأن تذكره فلا تنساه ، أن تطيعه فلا تعصيه .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)

(سورة آل عمران الآية : 102)

أي اتقوه في أعلى مستوى من التقوى .

التقوى طريق لمغفرة الذنوب

و فتح صفحة جديدة مع الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام ، شيء آخر :

((كُلُّ بَني آدمَ خطَّاءٌ وخيرُ الخَطَّائينَ التَّوابونَ))

[الترمذي عن أنس بن مالك]

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً)

(سورة الزمر الآية : 53)

وكأن الله عز وجل جعل التقوى طريقاً لمغفرة الذنوب ، حينما تتجه إلى الله ، وتصطلح معه ، وتوقع حركتك في الدنيا وفق منهجه ، يغفر لك ما تقدم من ذنبك ، الله عز وجل يقول :

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (5))

(سورة الطلاق)

كل واحد منا يتمنى أن يفتح مع الله صفحة جديدة حينما يعقد العزم على أن يتقي الله ، وعلى أن يستقيم على منهج الله ، وعلى أن يصطلح مع الله ، وعلى أن يخطب ود الله ، كأنه ألغى الماضي ، وفتح مع الله صفحة جديدة ، هذا المعنى تؤكده الآية الكريمة :

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (5))

(سورة الطلاق)

من يتق الله في علاقته بربه يجعل الله له مخرجاً من عقوبات التأديب :

ولكن الآية الأساسية أن التقوى تحل بها أكبر المشكلات ، ويا أيها الأخوة والله الذي لا إله إلا هو عندي يقين أن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق الله وعوده للمؤمنين بهذه الآية ، الآية تقول :

(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا)

(سورة الطلاق)

نزلت فلما استحكمت حلقاتها فرجت و كان يظن أنها لا تفرج

* * *

حينما تغلق الأبواب ، حينما تسد الطرق ، حينما يقع الإنسان في اليأس ، حينما لا يجد مخرجاً ، حينما تسلط عليه الهموم ، حينما يتلقى الرفض من كل جهة في هذه الحالة يقرأ قوله تعالى :

(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا)

(سورة الطلاق)

وللآية سباق ولحاق وسياق ، الآية في سياق سورة الطلاق من يتق الله في تطليق زوجته يجعل الله له مخرجاً إلى إرجاعها ، أما إذا نزعت الآية من سياقها من يتق الله في اختيار زوجته يجعل الله له مخرجاً من الشقاء الزوجي ، من يتق الله في تربية أولاده يجعل الله له مخرجاً من عقوقهم ، من يتق الله في كسب ماله يجعل الله له مخرجاً من إتلاف المال ، من يتق الله في علاقته بربه يجعل الله له مخرجاً من عقوبات التأديب ، فلذلك هذه الآية تحل بها جميع المشكلات :

(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا)

(سورة الطلاق)

وكلمة مخرجاً تعني أن المنافذ كلها مغلقة ، أبواب الأرض أغلقت جميعها والله عز وجل لحكمة بالغة يغلق أمام الإنسان المتردد أبواب الأرض ليطرق أبواب السماء .

وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا :

هناك آية أخرى تقترب منها :

(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا)

(سورة الطلاق)

تيسر أموره ، ييسر عمله ، ييسر زواجه ، ييسر رزقه :

(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا)

(سورة الطلاق)

التقوى طريق النجاح في الدنيا والآخرة :

أيها الأخوة ، شيء آخر التقوى طريق النجاح في الدنيا والآخرة :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ (28))

(سورة الحديد)

يعني كفالة لكم في الدنيا وكفالة لكم في الآخرة ، إنكم إن اتقيتم ربكم حققتم نجاح الدنيا والآخرة ، نجاح الدنيا والآخرة معاً ، فلذلك النجاح كل النجاح ، والفوز كل الفوز ، والتفوق كل التفوق ، والفلاح كل الفلاح ، بتقوى الله عز وجل ، وتقوى الله تعلي قدر الإنسان:

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)

(سورة الحجرات الآية : 13)

بل إن الله يحب المتقين ، وإذا أحب المتقين حفظهم ، ورزقهم ، ونصرهم ، ودعمهم .

من نتائج التقوى :

1 - أن الله عز وجل ولي الإنسان المؤمن :

من نتائج هذه التقوى أن يكون خالق السماوات والأرض وليك قال تعالى :

(وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (19))

(سورة الجاثية)

2 - أن يكون الله معك :

من نتائج التقوى أن يكون الله معك ، إذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان عليك فمن معك .

3 - أن تكون في قمة النجاح والفلاح والتفوق والفوز :

من نتائج التقوى أن تكون في قمة النجاح والفلاح والتفوق والفوز ، قال تعالى:

(وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (130))

(سورة آل عمران)

(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)

(سورة الأحزاب الآية : 71)

من آمن بالله وشكره حقق الهدف من وجوده :

الله عز وجل حينما خلق الكون سخره لك تسخيرين ، تسخير تعريف وتسخير تكريم ، ردّ فعل التعريف أن تؤمن ، ورد فعل التكريم أن تشكر ، فإذا آمنت وشكرت حققت الهدف من وجودك ، لذلك أنت حينما تتقي الله تكون ماشياً في طريق الشكر قال تعالى :

(فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123))

(سورة آل عمران)

أيها الأخوة الكرام ، التقوى وردت في ثلاثمئة آية في القرآن الكريم ، وتعني أن تتقي غضب الله بطاعته ، أن تتقي عقابه بالإنابة إليه ، أن تتقي سخطه بمحبته ، وهكذا و نحن في شهر التقوى :

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183))

(سورة البقرة)

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة دنيا - الدين والحياة - الدرس (5-6) : الإنفاق سمة من سمات المؤمن
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤمن بالإنفاق يتقرب إلى الله عز وجل و يتصل به :

في أول آية من سورة البقرة يقول الله عز وجل :

(الم (1)ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3))

(سورة البقرة)

فالإنفاق سمة أساسية من سمات المؤمن ، ركن كبير من أركان هذا الدين ، لأن المؤمن آمن بالله ، آمن به واحداً وكاملاً وموجوداً ، آمن به خالقاً ورباً وإلهاً ، آمن بأسمائه الحسنى وصفاته الفضلى ، وآمن أن الله خلقه لجنة عرضها السماوات والأرض ، وأنه جاء به إلى الدنيا ليدفع ثمن هذه الجنة أعمالاً صالحة، وبذلاً ، وإنفاقاً ، فلذلك جزء كبير من استراتيجية المؤمن هو الإنفاق ، لأن المؤمن يرى أنه بالإنفاق يتقرب إلى الله عز وجل ، وبالإنفاق يتصل به ، وبالإنفاق يحقق علة وجوده في الدنيا .

الإنفاق في سبيل الله سمة أساسية من سمات المؤمن :

لذلك المؤمن يعطي أكثر مما يأخذ ، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا ، الأقوياء أخذوا ولم يعطوا ، الأنبياء ملكوا القلوب ، والأقوياء ملكوا الرقاب ، الأنبياء عاشوا للناس ، والأقوياء عاش الناس لهم ، فلذلك الفرق الصارخ بين المؤمن وبين غير المؤمن ، المؤمن يعطي وغير المؤمن يأخذ ، يبني حياته على العطاء لأنه بهذا العطاء يتقرب إلى رب الأرض والسماء ، لأنه بهذا العطاء يدفع ثمن اتصاله بالله ، لأنه بهذا العطاء يدفع ثمن دخول الجنة ، فلذلك سمة أساسية وحركة أساسية وبذل طبيعي من خصائص المؤمن الإنفاق في سبيل الله :

(الم (1)ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3))

(سورة البقرة)

عبدي :

((أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ))

[ابن ماجه عن أبي هريرة]

((أنفق بلال ، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالا))

[الطبراني في المعجم الكبير والأوسط بسند حسن عن أبي هريرة]

((صدقة السر تطفئ غضب الرب))

[الجامع الصغير بسند صحيح]

((الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير))

[الطبراني عن أبي أمامة بسند ضعيف]

((باكروا بالصدقة ، فإن البلاء لا يتخطاها))

[الجامع الصغير بسند ضعيف]

أداء الزكاة أحد أكبر أبواب الإنفاق :

أيها الأخوة ، الإنفاق واسع جداً ، أحد أكبر أبواب الإنفاق أداء الزكاة ، قال تعالى :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)

(سورة التوبة الآية : 103)

قال العلماء هذه الآية أصل في فريضة الزكاة ، لو وقفنا عند كلماتها ، وحركاتها ، وسكناتها ، وقفة متأنية لأن هذه الآية أصل في فرضية الزكاة ، الله عز وجل كما قال بعض المفسرين يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام بكلمة خذ لا على أنه نبي هذه الأمة على أنه ولي أمر هذه الأمة ، فلابدّ من أن تدفع الزكاة من قبل المؤمنين ، وليس لهم خيار في دفعها وعدم دفعها .

وجوب الزكاة على كل المسلمين دون استثناء :

(خُذْ)

الزكاة تؤخذ ولا تعطى ، تؤخذ من قِبل المؤمن لأن حق الفقير تعلق بها ، لأن سلامة المجتمع تعلقت بها ، لأن أمن المجتمع تعلق بها ، وأنا أؤمن لو أدى المسلمون زكاة أموالهم أداءً صحيحاً بالتمام والكمال لحلت مشكلات الفقر في العالم الإسلامي ،

(خُذْ)

أي يا ولي الأمر يجب أن تأخذ الزكاة منهم .

أما

(مِنْ)

تفيد التبعيض لا تأخذ كل أموالهم ، ليس في الإسلام ما يسمى بالمصادرات التامة ، خذ من بعض أموالهم ، يعني اثنين ونصف بالمئة ، أما كلمة (أموال)جاءت الكلمة جمعاً ، ما قال خذ من مالهم ، خذ من أموالهم ، لذلك الزكاة تجب فيما أنتجته الأرض ، تجب في الأنعام ، تجب في الذهب والفضة ، تجب في الركاز ، تجب في كل ما يسمى مالاً :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً (103))

(سورة التوبة)

أما

(أَمْوَالِهِمْ)

لأنها جاءت جمعاً تفيد كل أنواع المال ، ولأن هاء الغائب اقترنت بميم الجمع أي الزكاة لا يعفى منها أحد ، أحياناً تطوى الضريبة على بعض الناس تملقاً لهم أو محاباة لهم ، ولكن الزكاة تجب على كل المسلمين دون استثناء ، فخذ من ، خذ لها معنى ، ومن لها معنى ، وجمع المال لها معنى ، والهاء لها معنى ، والميم لها معنى .

من أنفق من ماله الذي يحبه أكّد محبته لله عز وجل :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً (103))

(سورة التوبة)

هي آية الزكاة ولكن الله عز وجل سماها صدقة لحكمة بالغة بالعة ؛ وهي أن كلمة صدقة تشير إلى أنها تؤكد صدقهم في محبة الله ، تؤكد صدقهم في طاعته ، لأن أعمالاً كثيرة يأمر بها الدين لا تكلف شيئاً ، ولكن الله عز وجل أودع في الإنسان محبة المال ، فحينما ينفق من هذا المال الذي أحبه يؤكد محبته لله عز وجل ، وهذا المعنى ورد في آية أخرى ، قال تعالى :

(وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ (177))

(سورة البقرة)

مع أنه يحب المال ، يحب أخذه لا يحب إنفاقه ، يحب كنزه لا يحب إعطاءه ومع ذلك :

(وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ (177))

(سورة البقرة)

أي أنه أكّد لنفسه أولاً ولمن حوله ثانياً ولربه ثالثاً أنه يحب طاعة الله .

الصدقة تؤكد صدق الإنسان و محبته لربه :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً (103))

(سورة التوبة)

صدقة تؤكد صدقهم ، ماذا تفعل هذه الصدقة ؟ قال هذه الصدقة تطهرهم ، من ماذا ؟ تطهره الغني من الشح والشح مرض خطير ، كيف أن الورم الخبيث مرض خطير قاتل ينهي حياة الإنسان ، وكذلك الشح مرض خبيث ينهي سعادة الإنسان ، الإنسان الشحيح إنسان مريض ، ومرضه خبيث ، ومرضه ينهي سعادته ، لذلك الغني حينما يؤدي زكاة ماله يؤكد بهذا الأداء أنه ليس بخيلاً ، وليس شحيحاً ، وكأن أداء الزكاة طهره من مرض الشح لذلك ورد في بعض الأحاديث :

((برئ من الشح من أدى زكاة ماله))

[أخرجه الطبراني عن جابر بن عبد الله]

وأي كنز مهما كان كبيراً إذا أديت زكاته ليس بكنز ، وأي مبلغ مهما كان صغيراً وحقيراً إن لم تؤدَ زكاته فهو كنز .

النار مصير من يكنز الذهب و الفضة و لا ينفقها في سبيل الله :

الله عز وجل يبين مصير هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله :

(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34)يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35))

(سورة التوبة)

الزكاة تطهر الغني من الشح والفقير من الحقد و المال من تعلق حق الغير به :

أيها الأخوة الكرام ، تطهر الغني من مرض خبيث هو مرض الشح أما الفقير فتطهره من الحقد ، الفقير عندئذ لا يحقد لماذا ؟ لأن الله عز وجل بين له من خلال هذا الدين أنه كريم على مجتمعه ، هناك من أعطاه حاجته ، هناك من أدى له زكاة ماله اشترى بها طعاماً وشراباً وثياباً وهكذا ، إذاً تطهر الغني من الشح ، والفقير من الحقد ، وتطهر المال من تعلق حق الغير به ، قال تعالى :

(وَتُزَكِّيهِمْ)

الزكاة هي النماء ، تنمو بهذا الإنفاق نفسه ، يشعر بقيمته في المجتمع ، يشعر أن أمواله التي أنفقها في سبيل الله رسمت البسمة على قلوب الصغار ، يشعر هذا الغني أنه في قلوب المئات الذين أعطاهم زكاة ماله ، هؤلاء الذين أعطاهم زكاة ماله أصبحوا حراساً له ، بعد أنه كان من الممكن أن يكونوا أعداء له ، لذلك تنمو نفس الغني ، وتنمو نفس الفقير ، يشعر بقيمته في المجتمع ، يشعر أن المجتمع يرحمه ، يهتم به ، يتعاطف معه ، يشاركه ألمه ، لذلك :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)

(سورة التوبة الآية : 103)

الزكاة حصن أموال الإنسان :

يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((حصنوا أموالكم بالزكاة))

[رواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

((ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة]

أيها الأخوة الأحباب هذا غيض من فيض متعلق بآية الزكاة التي هي أصل في فرضية الزكاة ، قال تعالى :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)

(سورة التوبة الآية : 103)

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة دنيا - الدين والحياة - الدرس (6-6) : من صفات المؤمن الإنفاق
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

من أنفق ماله تقرباً إلى الله عوضه الله عليه أضعافاً مضاعفة :

كصفة أساسية من صفات المؤمن الإنفاق ، يعطي ، يتقرب إلى الله بالعطاء ، ولكن الله عز وجل في بعض الآيات نبه إلى حقيقتين الأولى في قوله تعالى :

(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39))

(سورة سبأ)

أي الله عز وجل أراد أن يمتحننا ، فإذا أنفقنا من مالنا الحلال فالله وعدنا أن يعوض علينا أضعافاً مضاعفة ، الصدقة بعشرة أمثالها ، فلذلك ما الذي يجعل الإنسان يحجم عن الإنفاق ؟ خوفه من نقص المال ، فإذا وعده الله عز وجل أن يعوض عليه أضعافاً مضاعفة من الذي أنفق ، فهذه الآية ينبغي أن تكون باعثاً لكل مؤمن على الإنفاق ، لأن الله عز وجل في بعض الآثار القدسية ورد :

((يا عبدي ، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ))

[الترغيب والترهيب بسند صحيح]

((أنفق بلال ، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالا))

[الطبراني في المعجم الكبير والأوسط بسند حسن عن أبي هريرة]

الإنفاق الذي ينفقه العبد في علم الله :

إذاً :

(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39))

(سورة سبأ)

الآية الثانية :

(وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (273))

(سورة البقرة)

نقطتان أساسيتان في الإنفاق أن الله يعلم ، الله عز وجل لا يطالبك بإيصال ، ولا ببيان ، ولا بسند ، ولا بيمين ، ولا بدليل ، لأنه يعلم :

(وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (273))

(سورة البقرة)

(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ (39))

(سورة سبأ)

هاتان الآيتان كافيتان كي تبعث المؤمن على إنفاق المال تقرباً إلى الله ، فهذا المال الذي أنفقه الله عز وجل سوف يعوضه أضعافاً مضاعفة ، وأن هذا المال الذي أنفقه العبد في علم الله .

من آداب الإنفاق :

1 ـ ألا تمن على من أنفقت عليه :

حقيقة ثانية من آداب الإنفاق أيها الأخوة أن الله عز وجل يقول :

(قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ)

(سورة البقرة)

لا تؤذِ الناس إذا أنفقت عليهم من مالك ، لا تمن عليهم ، المن يفسد بركة الصدقة ، المن يفسد ثواب الصدقة ، المن يفسد قيمة الصدقة ، قال بعض الأدباء :

رقصت الفضيلة تيـــهاً بفضلها فانكشفت عورتها

***

الصدقة ينبغي أن تكون صدقة إخلاص لله عز وجل ، لتنفق يمينك وينبغي ألا تعلم شمالك ماذا أنفقت ، لذلك أيها الأخوة من آداب الإنفاق ألا تمن على من أنفقت عليه .

2 ـ أن تكلم من أنفقت عليه كلاماً طيباً :

ومن آداب الإنفاق أن تكلمه كلاماً طيباً ، وأنا أضع بين أيدي الأخوة الكرام هذه القاعدة الذهبية : إن فعلت معروفاً ينبغي أن تنساه وإذا فعل أحد معك معروفاً ينبغي ألا تنساه بهذا ترقى عند الله وعند الناس.

نمو المال بأداء الزكاة :

شيء آخر أحياناً على الآلة الحاسبة إذا أقرضت قرضاً ربوياً يرجع إليك مع فائدته ، فالمال بحسب الآلة الحاسبة يزداد ، وأما إذا أقرضت قرضاً حسناً أو أديت زكاة مالك ، في أداء الزكاة ينقص المال ،

وفي القرض الحسن من دون فائدة تقل قيمة المال حين رده إليك مع التضخم النقدي ، لكن القرآن الكريم يتكلم عكس ذلك الله عز وجل يقول :

(يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ (276))

(سورة البقرة)

نحن حينما تحدثنا عن آية الزكاة قلنا :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)

(سورة التوبة الآية : 103)

التزكية هي النماء ، فقلنا الغني تنمو نفسه بأداء الزكاة ، والفقير تنمو نفسه بأخذ الزكاة ، بينما المال ينمو بأداء الزكاة ، ينمو بإحدى طريقتين ، ينمو بطريقة أولى هي أنك إذا أعطيت الفقير مالاً أعطيته قوة شرائية ، عاد فاشترى من الغني فازداد ربحه ، بهذه الطريقة ينمو مال الغني ، وبطريقة أخرى سماها العلماء العناية الإلهية فالله عز وجل بعنايته يصرف عنك الصفقات الخاسرة ويلهمك الصفقات الرابحة ، وهذا معنى قوله تعالى :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)

(سورة التوبة الآية : 103)

تزكي نفس الغني ، تزكي نفس الفقير ، تزكي المال نفسه ، يزداد المال ، إما بآلية اقتصادية معروفة ، أو بآلية هي عند الله العناية الإلهية ، فذلك من آداب الإنفاق عدم المن ، ومن آداب الإنفاق ضبط اللسان فلا يتكلم المنفق كلمة تجرح هذا الفقير .

على المؤمن إنفاق المال وفق منهج الله و مرضاته :

شيء آخر ورد في بعض الآثار القدسية :

((الأغنياء أوصيائي ، والفقراء عيالي ، فمن منع مالي عيالي أذقته عذابي ولا أبالي))

هذا المال بيد الغني ، ويده عليه يد الأمانة ، ينبغي أن ينفقه وفق منهج الله ، أن ينفقه في مرضاة الله :

(فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ)

(سورة الفجر)

هو يقول ذلك ، هو يتوهم ذلك ، وكأن الله عز وجل يقول بعد قليل :

(كَلَّا)

(سورة الفجر الآية : 17)

كلا على ماذا ؟ قال تعالى :

(وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ)

(سورة الفجر)

كأن الله عز وجل يقول :

(كَلَّا)

(سورة الفجر الآية : 17)

كلا أداة ردع ونفي يعني ليس عطائي إكراماً ، ولا منعي حرماناً ، عطائي ابتلاء ، وحرماني دواء .

المال نعمة و نقمة :

بناءً على هذا الكلام هل يعد المال نعمة ؟ الجواب : لا ونعم ، نعم إذا كسب وفق منهج الله ، بشكل مشروع ، ونعمة إذا أنفقه في الوجوه المشروعة ، أما إذا اكتسبه بطرق غير مشروعة فهو نقمة وليس نعمة ، لأن هذا المال الحرام سيدمره أيضاً ، فلذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((إنّما الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بالقدر الذي يسع فقراءهم))

[رواه الطبراني عن علي]

يعني مشكلة الفقر علاجها من عند الخالق ، من عند الخبير ، من عند المشرع ، علاجها أداء الزكاة ، وكأن النسب من عند عليم خبير .

((إنّما الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بالقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا إلا بما يصنع أغنياؤهم ، ألا وإنَّ الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذّبهم عذاباً أليماً))

[رواه الطبراني عن علي]

هذا القول منسوب للإمام علي رضي الله عنه ،

((إنّما الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بالقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا إلا بما يصنع أغنياؤهم ، ألا وإنَّ الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذّبهم عذاباً أليماً))

[رواه الطبراني عن علي]

منع الزكاة سبب رئيسي لكثير من المصائب التي تصيب الإنسان :

أيها الأخوة تعاني البلاد الإسلامية من الجفاف الله عز وجل يقول :

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ و الْأَرْضِ)

(سورة الأعراف الآية : 96)

(وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا لنفتنهم فيه)

(سورة الجن)

لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين))

أي الفقر والقحط والجفاف .

[رواه الطبراني في الأوسط عن بريدة ، وصححه الحاكم على شرط مسلم]

وفي حديث آخر :

((ولم يمنعوا زكاة مالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يُمطروا))

[ابن ماجه عن عبد الله بن عمر]

وفي حديث ثالث :

((ما تلف مال في برٍ أو بحرٍ إلا بحبس الزكاة))

[رواه الطبراني في الأوسط ، وقال الهيثمي في المجمع 93/3 : فيه عمر بن هارون " ضعيف"]

والله عز وجل يقول :

(لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ (7))

(سورة الطلاق)

يعني هناك عبادة الهوية ، أنت من ؟ أنت غني فضلاً عن صلاتك ، وصيامك ، وحجك ، وزكاتك ، وعن طاعتك لله ، عبادتك الأولى إنفاق المال ، لأنه أقامك غنياً فينبغي أن تكون عبادتك الأولى إنفاق المال ، أنت قوي العبادة الأولى إحقاق الحق ، وإنصاف المظلوم ، وإبطال الباطل ، أنت عالم العبادة الأولى تعليم الناس العلم دون أن تأخذك بالله لومة لائم ، أنت امرأة عبادتك الأولى رعاية الزوج والأولاد :

((انصرفي أيتها المرأة ، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله ـ أي يعدل الجهاد في سبيل الله))

[أخرجه ابن عساكر وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

من لم ينفق ماله في سبيل الله جاء يوم القيامة صفر اليدين :

وفي نهاية المطاف نقول من خلال هذه الآية الكريمة :

(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (195))

(سورة البقرة)

فالإنسان إن لم ينفق ماله هلك لأنه سيأتي ربه يوم القيامة صفر اليدين ، ليس معه عمل صالح يتقرب به إلى الله ، وليس معه عمل صالح يكون سبباً لدخول الجنة ، لذلك :

(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (195))

(سورة البقرة)

أيها الأخوة الكرام ، هذه معاني الإنفاق سلوك عملي ، وما لم يلتزم الإنسان هذه الأوامر ، وما لم يتحرك نحو طاعة الله والتقرب إليه بإنفاق ماله ، فيبدو أن الطريق يصبح مسدوداً عند الله عز وجل ، فلابد أن يصحو من غفلته ، وأن ينفق بعض ماله تقرباً إلى ربه .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة دنيا - ومضات فقهية : العبادة 1

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-08-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ نزار :

دكتور إذا ابتدأنا حديثنا في هذا الشهر الكريم عن العبادة ، هل كل ما يتقرب به الإنسان إلى الله مما نزل في القرآن ، وما فرضته السنة ، وتحدثت به السنة ، وما جاء في الأثر ، هل هذا كله عبادة ؟.

لا تصح حركة الإنسان إلا إذا عرف سرّ وجوده :

الدكتور راتب :

أستاذ نزار جزاك الله خيراً على هذا السؤال ، ولكن لابدّ من مقدمة ، هذه المقدمة تؤكد أن الإنسان كائن متحرك ، ما الذي يحركه ؟ حاجات ثلاث أودعها الله فيه ، الحاجة إلى الطعام والشراب حفاظاً على بقائه كفرد ، والحاجة إلى الجنس حفاظاً على بقاء النوع ، والحاجة إلى تأكيد الذات حفاظاً على بقاء الذكر ، فالإنسان في الأصل كائن متحرك ، تحركه حاجات ثلاث ، هذه الحاجات إما أن تكون الحركة من قبلها صحيحة أو غير صحيحة ، السؤال الأول متى تصح حركة الإنسان ؟ هو كائن متحرك شئنا أم أبينا ، رضينا أم لم نرضَ، لكن هذه الحركة متى تصح ؟ تصح إذا عرف الإنسان سرّ وجوده .

لو سافر إنسان إلى بلد وسأل إلى أين أذهب ؟ نسأله نحن : لماذا أتيت إلى هنا ؟ إن جئت طالب علم اذهب إلى المعاهد والجامعات ، وإن جئت تاجراً اذهب إلى المعامل والمؤسسات ، وإن جئت سائحاً اذهب إلى المقاصف والمتنزهات .

فالحركة في بلد ما لا تصح إلا إذا عرف الإنسان سرّ وجوده .

لكن لو كبرنا هذا المثل ، نحن في الأرض ، لماذا نحن في الأرض ؟ لماذا خُلقنا في الأرض ؟ من خلقنا ؟ لماذا خُلقنا ؟ أين كنا ؟ ماذا بعد الموت ؟ هذه أسئلة كبرى الإنسان إن لم يعرفها فهو مقصر تقصيراً استراتيجياً خطيراً ، لأن ما كل ذكي بعاقل ، قد يتفوق الإنسان باختصاص معين ، أما إذا غفل عن سرّ وجوده ، وعن غاية وجوده ، وعن القضايا الكبرى في حياته ، فهو ليس بعاقل .

العلاقة التي أرادها الله بينه وبين عباده علاقة حب لا علاقة إكراه :

فأول سؤال ينبغي أن يطرحه الإنسان على نفسه لماذا أنا في الدنيا ؟ الآية تقول :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

(سورة الذاريات)

من تعريف العبادة : أنها طاعة طوعية ، طاعة للخالق ، طاعة للخبير ، طاعة للعليم ، طاعة للغني ، طاعة للقدير ، طاعة لمن خلقنا .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ)

(سورة البقرة الآية : 21)

هي طاعة لكنها طوعية ، ليست قسرية ، لأن الله ما أراد أن تكون العلاقة به علاقة إكراه ، قال :

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

(سورة البقرة الآية : 256)

أراد أن تكون العلاقة به علاقة حب ، قال :

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

(سورة المائدة الآية : 56)

(وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)

(سورة البقرة الآية : 156)

فالعلاقة التي أرادها الله بينه وبين عباده هي علاقة حب ، إذاً هي طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية .

الأستاذ نزار :

أين المحبة والخشية إذاً ؟.

على المؤمن أن يجتمع في قلبه تعظيم لله ومحبة له وخوف منه :

الدكتور راتب :

الخشية يغلب عليها الخوف ، والحقيقة سؤال رائع جداً ، المؤمن ينبغي أن يجمع بين الخوف والحب .

((يا رب أيّ عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك ؟ قال : أحبّ عبادي إليّ تقي القلب ، نقي اليدين ، لا يمشي إلى أحد بسوء ، أحبني ، وأحب من أحبني ، وحببني إلى خلقي ، قال : يا رب إنك تعلم أنني أحبك ، وأحب من يحبك ، فكيف أحببك إلى خلقك ؟ قال : ذكرهم بآلائي ، ونعمائي ، وبلائي))

[من الدر المنثور عن ابن عباس]

ذكرهم بآلائي كي يعظموني ، وذكرهم بنعمائي كي يحبوني ، وذكرهم ببلائي كي يخافوني .
تفضلت أن الخشية غير الحب ، الخشية خوف ، ولابد من أن يجتمع في قلب المؤمن وهو يؤدي هذه العبادة العظيمة أن يجتمع تعظيم لله ، ومحبة له ، وخوف منه .

إذاً هي طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، الحقيقة أصل الدين معرفة الله ، هذا الذي تصوم له من ؟ ماذا عنده لو أطعته ؟ ماذا ينتظر الإنسان لو عصاه ؟ هذا الذي تصلي له من هو ؟ هو خالق السماوات والأرض ، صاحب الأسماء الحسنى والصفات الفضلى ، هو الذي :

(إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)

(سورة يس)

بيده مقاليد السماوات والأرض :

(كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)

(سورة الرحمن)

(كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)

مع عباده ، إذاً العبادة طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية ، لكن ما عبد الله من أطاعه ولم يحبه ، وما عبد الله من أحبه ولم يطعه .

الأستاذ نزار :

دكتور ، بما أن العبادة مرتبطة ، أو العبادة معللة بمصالح الخلق كما أشرت إلى هذه النقطة أي أن الفرد عندما يتوجه إلى الله تعالى ، يناجي الله تعالى ، يتعامل مع الله تعالى، ولكن هو بالأساس فرد ضمن مجتمع ، هذه العلاقة عندما تنعكس العبادة عليها بشكل أساسي توجب على هذا الفرد علاقة تعاملية ، عبادة تعاملية مع الناس ، أي أن الموضوع لا يقتصر فقط على الناحية الشعائرية سواء كانت الصلاة ، أم الصيام ، أم الزكاة ، كلها بالنهاية يجب أن تؤدي إلى تهذيب النفس في تعامله في هذه العبادة التعاملية مع محيطه ، مع مجتمعه ، لكي تجعل هذا المسلم فرداً صالحاً ضمن مجتمعه كيف ؟.

العبادة الشعائرية لا تصح ولا تقبل إلا إذا صحت العبادة التعاملية :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن هذه العبادة الشعائرية لا تصح ولا تقبل إلا إذا صحت العبادة التعاملية، أي هناك عبادات شعائرية كالصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، هناك عبادات تعاملية ، يقول النبي الكريم :

((أَمَرَنِي رَبِّي بِتِسْعٍ : خَشْيَةِ الله في السِّرِّ والعلانية ، وكلمة العدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، وأن أَصِلَ مَنْ قطعَنِي ، وأعطي مَنْ حَرَمَنِي ، وأعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي))

[أخرجه زيادات رزين عن أبي هريرة]

سيدنا جعفر التقى النجاشي ، قال :

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لتوحيده ولنعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء))

[أخرجه ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

أخطر شيء أتمنى أن يكون واضحاً عند الأخوة المشاهدين العبادات الشعائرية ومنها الصيام ، ومنها الصلاة ، ومنها الحج ، ومنها الزكاة لا تصح ، ولا تقبل أصلاً إن لم تصح العبادات التعاملية ، طالبني بالدليل ، النبي الكريم سأل أصحابه :

((أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ ؟ قالوا : المفْلسُ فينا من لا درهم له ولا متاع . قال : إن المفْلسَ مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شَتَمَ هذا ، وقذفَ هذا وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته فإن فنيَتْ حَسَناتُهُ قبل أن يُقْضى ما عليه ، أُخِذَ من خطاياهم فطُرِحَتْ عليه ، ثم يُطْرَحُ في النار))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

هذه الصلاة ، الصيام :

((مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّور والعملَ بهِ ، فليسَ للهِ حاجة فِي أن يَدَعَ طعَامَهُ وشَرَابَهُ))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

((رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع))

[أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة]

الزكاة :

(قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ)

(سورة التوبة)

الحج :

((من حج بمال حرام فقال : لبيك اللهم لبيك ؛ قال الله عز وجل : لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك))

[رواه الشيرازي وأبو مطيع عن عمر]

الشهادة :

((من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة قيل : وما إخلاصها ؟ قال : أن تحجزه عن محارم الله))

[رواه الطبراني عن زيد بن أرقم]

رقي المعاملات شرط لصحة العبادات :

جزاك الله خيراً أستاذ نزار نبهت إلى نقطة مهمة جداً ، هذه العبادات من أجل أن ترقى المعاملات ، بل إن رقي المعاملات شرط لصحة العبادات ، أما أن أصوم وأنا على ما أنا عليه من غيبة ، ونميمة ، وبهتان ، وقول زور ، وغش للناس ، كأنه لم يصم أصلاً ، أساساً الصيام من أجل أن يرقى الإنسان إلى مستوى يليق به ، ما دام الإنسان منضبطاً بمبادئ وقيم العبادة الشعائرية تصح وتقبل ، فلذلك :

((رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع))

[أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة]

الأستاذ نزار :

ولكن هل من أجل ذلك فرضت العبادات الشعائرية أم أنه بالأساس لتشكيل مجتمع صالح إن اتبع هذه التعليمات ، وهذه الإرشادات في كل ركن من أركان الإسلام ، هناك معان كثيرة تنبه لها المسلم انعكست عليه ، وعلى مجتمعه بالرقي ، الآن ربما المجتمع محروم في كثير من هذه الجوانب ، حتى الأناس الذين يعتبرون الشخص متديناً ، نرى أن هذا الشخص لا يتبع الفكر الموجود فيما تقوله .

عظمة هذا الدين أنه دين فرد ودين جماعة في وقت واحد :

الدكتور راتب :

عظمة هذا الدين أنه دين فرد ، ودين جماعة في وقت واحد ، الفرد له علاقة مع الله عز وجل ، إذا صحت هذه العلاقة انعكست صدقاً ، وأمانة ، وورعاً ، وإنصافاً ، ورحمة، وحباً ، هذه الصفات إذا توافرت في الإنسان صحت عبادته ، تداخل عجيب بين هذا الدين كدين فرد ، وبين هذا الدين كدين جماعة ، فهو في الوقت نفسه دين فرد ، لو أن الناس جميعاً أهملوا هذا الدين ، بإمكانك أن تقطف كل ثماره وحدك ، حينما تعقد صلة مع الله ، وتتقي الله، وتفعل الخير مع الناس جميعاً ، وحينما يطبق جميع الناس هذا الدين ترى مجتمعاً يفوق حدّ الخيال ، مجتمع المحبة ، مجتمع الإنصاف ، مجتمع العدل .

الحقيقة من الصعب أن نفصل بين الفرد والمجتمع في هذا الدين ، نظام خالق السماوات والأرض فيه تداخل عجيب ، فيه تكامل ، فأنا من جهة يعد الدين لي نشاطاً فردياً في صلاتي ، وأذكاري ، وصيامي، وقربي من ربي ، ويعد منهجاً اجتماعياً حينما لا أكذب ، ولا أشتم ، ولا أغش ، ولا أحتال ، وأكون صادقاً أميناً ، فهناك تداخل عجيب بين هذا الدين كفرد ، وبين هذا الدين كمجتمع .

الأستاذ نزار :

ولكن على مستوى العبادة ، أنت ميزت منذ قليل مصطلح الطقوس ، وهي مجموعة حركات وسكنات في كل ركن من أركان الإسلام لو تحدثنا عن هذه النقطة ، ما الفرق بين طقوس تتبع ، أو ما بين مناسك لنقل شعائر تتبع في كل واحد منا ؟

العبادات الشعائرية في الإسلام معللة بمصالح الخلق :

الدكتور راتب :

العبادات لها معاني ، مثلاً :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً)

الزكاة :

(تُطَهِّرُهُمْ)

(سورة التوبة الآية : 103)

تطهر الغني من الشح ، تطهر الفقير من الحقد .

(وَتُزَكِّيهِمْ)

(سورة التوبة الآية : 103)

تنمي مال الغني ، تنمي نفسية الفقير .

الصيام :

(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

(سورة البقرة)

الحج :

(لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ)

(سورة المائدة الآية : 97)

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)

(سورة العنكبوت الآية : 45)

أي العبادات الشعائرية في الإسلام معللة بمصالح الخلق ، لا يعقل خالق السماوات والأرض أن يأمرنا بأمر يؤدى أداء شكلياً ، هذا يتناقض مع عظمة الله ، إلهنا ، ربنا خالق السماوات والأرض يأمرنا بالصيام ، لنمتنع عن الطعام والشراب فقط ؟ شيء ليس له معنى ، يبدو أن هذا الامتناع عن الطعام والشراب سبب للقرب من الله ، والقرب من الله ينعكس صدقاً ، وأمانة ، وإخلاصاً ، وتواضعاً ، ورحمة ، ومحبة ، وإنصافاً ، أي المجتمع المسلم مجتمع متألق بسبب عباداته .

الأستاذ نزار :

أيضاً من ناحية أخرى كثر الانتقاد كثيراً لأمور تمارس في رمضان لابتعاده عن هذه الصيغ إلى صيغ أخرى ، دائماً اعتاد المشايخ ، واعتاد أي شخص مراقب لحركة المجتمع على انتقاد هذا الأمر ، هل ابتعدوا كثيراً ؟.

شهر رمضان شهر عبادة وليس شهراً اجتماعياً :

الدكتور راتب :

كان الصيام عبادة سنوية ، شحنة سنوية ينبغي أن تكفيك عاماً بأكمله فأصبح مع الأسف الشديد شهراً اجتماعياً ، ولائم ، وحفلات ، ولقاءات ، والبعد عن الأشياء التي تقرب من الله عز وجل ، أنا أتمنى من خلال هذه الحلقات أن ينتبه الأخوة المشاهدون إلى أن هذا الشهر شهر عبادة ، وليس شهراً اجتماعياً كما يمارسه بعض الناس .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة دنيا - ومضات فقهية : العبادة 2 الحكمة من الصيام

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 24-08-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ نزار :

دكتور ، في كل مناسبة في شهر رمضان نتحدث عن نزول القرآن في هذا الشهر المبارك ، وعن فرض الصيام أيضاً في هذا الشهر أيضاً ، هل من علاقة بين الأمرين ؟ أم أن الموضوع فقط كان من باب المصادفة ؟

كل أمر إلهي غابت عنا عبوديته وحكمته ارتفع مستوى التعبد فيه :

الدكتور راتب :

العلاقة التي هي واضحة جداً ما جاء في القرآن الكريم .

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)

(سورة البقرة الآية : 185)

ولكن نريد أن نؤكد كما تفضلت أن هذه العبادة فيها امتناع وفيها كف كأنها عبادة سلبية ، السبب : أحياناً الأب يأمر ابنه أن ينظف أسنانه ، الأمر واضح ، أن يدرس ، الأمر واضح ، أن ينام باكراً ، الأمر واضح ، قد يتلقى الابن مئات الأوامر من أبيه ، كلها أوامر واضحة ولمصلحته ، لكن لو أن الابن جائع جداً ، والطعام نفيس وقال الأب لابنه : لا تأكل ، فإذا قال : سمعاً وطاعة يا أبتِ معنى ذلك أن لهذا الابن ثقة بالأب بلا حدود ، تلقى أمراً غير معقول ، وغير مقبول ، لكنه نفذه بحذافيره .

لذلك هذا معنى قول الله عز وجل في بعض الأحاديث القدسية :

((كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به))

[أخرجه البخاري وابن خزيمة عن أبي هريرة]

أي أن كل أمر إلهي كلما اتضحت حكمته ضعفت العبودية فيه ، وكلما غابت عنا العبودية ، وكلما غابت عنا حكمته ، ارتفع مستوى التعبد فيه .

الصيام يؤكد عبودية الإنسان للواحد الدّيان :

أولاً : الصيام هو امتحان لعبودية الإنسان لرب الأرض والسماوات ، لأنه يمنعه أن يأكل ، يمنعه شيئاً مباحاً ، يمنعه شيئاً لا بد منه ، منع عن المباحات ، أو مُنع عن الضروريات ، منع عن اللقاء الزوجي ، المسلم في رمضان يمتنع عن الطعام والشراب وسائر المفطرات تأكيداً لعبوديته الله عز وجل .
فلذلك كل أمر تتضح حكمته تكون فيه العبادة عالية المستوى ، أما حينما لا تتضح حكمة الصيام أحياناً تدع الطعام والشراب ، والأيام حر ، والإنسان بحاجة إلى ماء بارد ، وإلى طعام نفيس ، يدع الطعام والشراب استجابة لأمر الله عز وجل .
فأول جانب من جوانب الصيام أنه يؤكد عبودية الإنسان للواحد الديان ، هذه واحدة .

شهر رمضان شهر لتقوية الإرادة على طاعة الله عز وجل :

الشيء الثاني أن الله سبحانه وتعالى أراد من هذا الشهر العظيم أن يقوي إرادتنا على طاعته ، بمعنى أنه منعك أن تأكل ، وأن تشرب ، منعك من المباحات ، منعك مما هو متاح لك دائماً ، فهل يعقل وأنت تمتنع عن المباحات أن تقترف المعاصي والآثام ؟ كأنه شهر لتقوية الإرادة ، فالإنسان تقوى إرادته في الصيام ، في ترك الطعام والشراب ، يكذب ؟ مستحيل ! يملأ عينه من امرأة لا تحل له ؟ مستحيل ! يترك الصلاة ؟ مستحيل ! ترك الطعام والشراب وكأن هذا الشهر أراد الله منه أن نقوي الإرادة على طاعته ، نسميها دورة خاصة ، دورة مكثفة لثلاثين يوماً .
والحقيقة هذا الجوال الصغير "الهاتف" ، إن لم يشحن يسكت ، إن لم يشحن ينطفئ، فالإنسان لا بدّ من أن يشحن .
الأستاذ نزار :
هذه الشحنة دكتور خلال ثلاثين يوماً ، ربما من اللذائذ في شهر رمضان لذة التأمل ، ولذة المتعة ، عندما وجدنا الناس جميعهم يسيرون وفق منهج واحد ، يفطرون في وقت واحد ، يصومون في وقت واحد ، يصلون في وقت واحد ، كلهم على منهج واحد في هذا الشهر .

الصيام عبادة الإخلاص :

الدكتور راتب :
هذا جانب آخر سنأتي عليه ، لكن أنا أقول : الإنسان حينما يترك ما هو مباح له طواعية إرضاء لربه ،

لا يعقل أن يقترف المعاصي والآثام ، معاصي اللسان لا تعد ولا تحصى ، هناك معاصي المال ، معاصي النساء ، المعاصي منوعة جداً ، ما دام قد ترك الطعام والشراب أيعقل أن يقترف المعاصي والآثام ؟ إذاً هو تقوية لإرادة المؤمن .

شيء آخر : الإنسان فقير ، في أصل خلق الإنسان هناك نقاط ضعف كثيرة .

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً)

(سورة المعارج)

(وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً)

(سورة النساء)

هذا الضعف في أصل خلقه قد يغيب عنه ، الطعام موجود ، والشراب موجود ، والمركبة موجودة ، والأهل موجودون ، لكن حينما يمنع عن الطعام والشراب في أيام الصيف يدخل إلى البيت ، يتوق إلى كأس ماء بارد ، والثلاجة أمامه ، والماء البارد أمامه ، لماذا يمتنع ؟ خوفاً من الله .

بربك لو أن دولة أمرت بالصيام ، كم إنسان يصوم ؟ يدخل إلى الحمام ويشرب الماء ، من سابع المستحيلات أن تضبط إنساناً وهو في البيت وحده على درجة من العطش عالية جداً ، ودرجة من الحر عالية جداً ، والثلاجة أمامه ، والماء البارد أمامه .

كأن الصيام عبادة الإخلاص ، أي أنا أراقب الله عز وجل ، لا أستطيع أن أضع قطرة ماء في فمي ، فهذه عبادة راقية جداً .

((كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به))

[أخرجه البخاري وابن خزيمة عن أبي هريرة]

الأستاذ نزار :

برأيك دكتور كم من الناس يتنبهون لهذه المعاني ؟

الصيام ترتفع فيه نسبة العبودية لله عز وجل :

الدكتور راتب :

هناك حكم كبيرة ، أولاً : أن الله يريد أن نعرف محبتنا له حينما نصوم ، كل شيء مباح لك ، الماء البارد موجود ، الطعام ، كل شيء موجود ، لأنك ترى أن الله معك ويراقبك ، وأعظم أنواع الإيمان أن ترى أن الله معك ، يراك ، اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

أولاً : الصيام ترتفع فيه نسبة العبودية لله عز وجل ، لكن لو أن الله نهانا عن القتل شيء واضح جداً ، القاتل يقتل ، نهانا عن السرقة السارق يسجن ، نهانا عن شرب الخمر يضيع العقل مع الخمر ، فكل

شيء نهانا الله عنه واضح ولمصلحتنا ، أما ترك الطعام والشراب بخلاف طبيعتنا ، وبخلاف جبلتنا ، وبخلاف فطرتنا ، فلذلك يرقى الإنسان .

الأستاذ نزار :

مع بعد كثير من الناس عن جوهر الدين ، وعن كثير من الأمور المتعلقة فيها، نجد بعض الناس يتهاونون في أمور دينهم الكثيرة ، إلا موضوع الصيام نجد هناك رقابة داخلية كبيرة لدى كثير من الناس بأنهم لا يفطرون ، لا يمكنهم على الإطلاق أن يفطروا أي تميزنا في الصيام ، لماذا الصيام أشد وقعاً على النفس من باقي الفرائض ؟

أهداف الأمر الإلـهي من الصيام لا تعد ولا تحصى :

الدكتور راتب :

لأن ترك المباحات شيء صعب على النفس ، من المباحات الطعام والشراب ، حينما أراد الله أن يصف بشرية الأنبياء ماذا قال ؟ قال :

(يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ)

(سورة الفرقان الآية : 20)

أي الإنسان مفتقر بوجوده لتناول الطعام .

(وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ)

(سورة الفرقان الآية : 20)

بل مفتقر إلى ثمن الطعام ، إلى أن يعمل ، فلولا هذه الحاجة إلى الطعام والشراب ما رأيت على وجه الأرض شيئاً .

لذلك قضية الطعام والشراب حينما نمنع عنها في رمضان هذا يؤكد عبوديتنا ، يؤكد افتقارنا ، نعرف حجمنا الطبيعي ، هذه المعاني كلها مقتبسة من ترك الطعام والشراب ، لكن هناك شيء آخر ، كأن الأمر الإلهي من المستحيل أن يكون له أهداف محددة ، أهداف الأمر الإلهي لا تعد ولا تحصى ، ما قولك أن الصيام يعد دورة وقائية لأمراض كثيرة ودورة علاجية لبعض الأمراض ، هذا الجسم من خلقه ؟ الله عز وجل ، ترك الطعام والشراب يجدد هذه العضوية ، يكون صيانة لبعض الأجهزة ، يكون تجريفاً لبقايا الطعام من الأمعاء ، يكون استعداداً أو صيانة للأجهزة في الجسم ، فنحن عقب الصيام قد ينزل الوزن قليلاً ، وينشط نشاطاً عالياً .

الصيام يؤكد النموذج الاجتماعي :

لكن هناك شيء آخر ، الآن تفضلت به قبل قليل ، أن الصيام حضارة ، أمة بأكملها تأكل بدقيقة واحدة، وتمتنع عن الطعام بدقيقة واحدة ، وتتحرك بساعات محددة ، هذا الشيء يريك عظمة هذا الدين ، الدين جماعي ، والدين فردي ، في ترك الطعام والشراب علاقة فردية مع الله ، وفي ترك الناس الطعام في وقت واحد ، والتناول في وقت واحد ، أيضاً هذا يؤكد النظام في الأمر ، فكما أن العبادات التعاملية تؤكد العلاقات الاجتماعية ، كذلك هذا الصيام يؤكد النموذج الاجتماعي .

الأستاذ نزار :

ولكن هذا النموذج الاجتماعي ، وهذه الوحدة الكبرى التي يشعرها المسلمون بينهم وبين إخوانهم ، ألا يعكر صفوها عادة أن تصوم أنت في يوم ، ويصوم جارك في البلد الآخر ، في البلد الشقيق في يوم آخر ؟ أو أن تعيد وأن تفطر قبله بيوم ، ويفطر هو بعدك بيوم ؟ هذه ألا تعكر صفو المسلمين ؟ ألم يجد المسلمون طريقة بعد لكي تتفق مواقفهم ، تتفق مناسباتهم في يوم محدد ؟.

اختلاف المسلمين في صيامهم وصمة عار بحقهم :

الدكتور راتب :

هذا الدين لكل العصور ، يوم لم يكن هناك تواصل إعلامي ، كل بلد مكلف أن يرى الهلال ، فقد تختلف الرؤيا من بلد إلى آخر ، أما الآن هناك تواصل إعلامي مذهل ، والله اختلاف المسلمين في صيامهم أنا أراه وصمة عار بحقهم ، و هذا الشيء غير معقول ، يمكن لأي بلد إسلامي إذا رأى الهلال أن يعمم هذا على كل بلاد المسلمين ، نحن نريد أن نكون متحدين أمام الطرف الآخر ، أما هذه الفرقة في بدء العيد ، وبدء الصيام ، شيء يؤسف له كثيراً ، وأتمنى أن نتجاوز هذه المرحلة .

الأستاذ نزار :

يشكل الصيام على أصحاب المهن مشقة كبيرة ، هل يوجب عليهم ذلك أحكام خاصة ؟

الإسلام يتماشى مع حاجات الإنسان :

الدكتور راتب :

والله :

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا)

(سورة البقرة الآية : 286)

الله عز وجل أباح الفطر للمسافر ، وللمريض ، وهناك بعض الأحكام الفقهية من كانت له حرفة شاقة جداً تتناقض مع الصيام له أن يفطر ، وأن يدفع عن كل يوم إطعام مسكين ، فالإسلام يسر ، والإسلام مرن ، والإسلام يتماشى مع حاجات الإنسان .

ولكن نريد أن نؤكد ونحن في هذا الشهر أن النبي الكريم قال :

((مَنْ صام رمضانَ إيماناً واحتسابا غُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذَنْبِهِ))

[أخرجه البخاري وابن خزيمة عن أبي هريرة]

بربك لو كنت تاجراً ، عليك خمسون مليون ليرة ديون لا تستطيع سدادها ، وجاء من يقول لك : في ثلاثين يوماً اعمل ما يلي وتعفى من هذه الديون ، فرصة لا تقدر بثمن ، وكأن الله عز وجل حينما أمر النبي فقال :

((مَنْ صام رمضانَ إيماناً واحتسابا غُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذَنْبِهِ))

[أخرجه البخاري وابن خزيمة عن أبي هريرة]

كأنه صفحة مع الله جديدة ، كأن كل ما عليك في الماضي هذا الشهر الكريم يلغي المسؤولية عن الماضي ما لم يكن طبعاً أكل لحقوق الغير ، لأن الله قال :

(يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ)

(سورة نوح الآية : 4)

من للتبعيض .

أنواع الذنوب :

بالمناسبة هناك ذنب مع الله ، هذا يغفر في رمضان ، وحقوق الله مبنية على المسامحة ، هناك ذنب مع الآخرين هذا لا يغفر إلا بالأداء أو المسامحة ولو صام رمضان ، إذا عليه دين الدين يجب أن يؤدى ، ما كان بينك وبين الخلق لا يغفر إلا بالأداء أو المسامحة، وأما ذنب الشرك فهذا لا يغفر ، أن تتجه لغير الله ، الإنسان حينما يتجه لغير الله ليس هناك شيء .

أنت تسافر لحلب ، ولك مبلغ ضخم بحلب ، ركبت قطاراً ، هناك أخطاء في القطار كثيرة ، ركبت في العربة مع شباب طباعهم سيئة أزعجوك ، ركبت بعكس اتجاه القطار ، وأصبت بالدوار ، أنت جائع وهناك عربة مطعم لم تنتبه لها ، هناك أخطاء كثيرة ترتكب في القطار وهو في طريقه إلى حلب ، أما الخطأ الذي لا يغتفر أن تركب قطار درعا والمبلغ في حلب .

إذاً هناك ذنب يغفر ، وذنب لا يترك ، وذنب لا يغفر .

الأستاذ نزار :

ما تقدم من الذنب قد يكون حافزاً لبعض الناس على أن يتبع العكس ، بمعنى أنه غُفر له ذنب فبالتالي عليه أن يستأنف ربما مسيرته التي كان عليها .

من خطط لاقتراف الذنوب بعض رمضان استهزأ بالله عز وجل :

الدكتور راتب :

هذه شبه مستحيلة ، كيف ؟ أنت حينما تقترف الذنب لا سمح الله ولا قدر من أجل ظن أن الله سيغفره لا يغفر عندئذٍ ، هذه المغفرة تكون لما مضى ، أما للمستقبل استهزاء بالله عز وجل ، إنسان غلبته نفسه وقع في ذنب ، يأتي رمضان فيغفر هذا الذنب ، أما أن يخطط ليقترف الذنوب و الآثام بعد رمضان ، يأتي رمضان آخر هذا استهزاء بالله عز وجل هذا مرفوض كلياً .

الأستاذ نزار :

ما رأيك دكتور ، أي سمو بالشخصية ، أي سمو بالنفس ، يمكن للمسلم أن يقاسيه أو أن يكبت على نفسه ، حتى يحتفظ بهذه الصفات السامية من نفس الإنسانية أولاً ، ونفس الإنسان ثانياً ، في رمضان عندما تكون اللحظات حرجة ، عندما تكون المواقف حرجة ، تجد أناساً ربما لا يملكون الصبر في نهار الصيام ؟

الدكتور راتب :

رمضان رياضة روحية ومجموعة متكاملة من العبادات :

أنت حينما تؤدي صلاة الفجر في المسجد لثلاثين يوماً .

((من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله))

[أحمد والبزار والطبراني في الأوسط عن ابن عمر]

حينما تؤدي صلاة العشاء في المسجد في جماعة ، وبعدها التراويح .

((من صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح))

[أحمد]

الإله العظيم ألزمك أن تصلي في جماعة في وقتين مهمين جداً ، الفجر والعشاء، فكأن هذه الصلاة أصبحت جزءاً من حياتك ، أمرك أن تقرأ القرآن ، الحقيقة رمضان منوع جداً ، في إنفاق المال ، كان النبي جواداً ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، أنت برمضان تنفق المال ، برمضان تقرأ القرآن ، برمضان تصلي الفجر في جماعة ، والعشاء في جماعة ، في رمضان تقوم الليل للتراويح ، برمضان تضبط اللسان ، تضبط العين.

((أعنا على الصيام والقيام وغض البصر وحفظ اللسان))

أنت برمضان هناك مئات الأخطاء التي تتوهم أنها صغيرة تمتنع عنها في رمضان ، وكأن هذا الامتناع يقودك إلى أن تبقى شيئاً ثابتاً في حياتك ، رمضان منوع جداً ، فيه صيام ، فيه قيام ، فيه تراويح ، فيه فجر ، فيه قرآن ، فيه إنفاق ، شيء دقيق جداً .

الأستاذ نزار :

رياضة روحية ، ومجموعة متكاملة من العبادات التي يجب أن تكمل بعضها بعضاً .

الدكتور راتب :

فيه ترك الطعام والشراب ، فيه ترك الغش ، والكذب ، والغيبة ، والنميمة ، وقول الزور والبهتان .

الحقيقة الذي ألفه الناس ليس من الكبائر ، الكبائر مألوفة معروفة ، القتل ، والزنا، والسرقة ، أما الذي ألفه الناس ويتوهمونها صغائر ، هذه كلها في رمضان يتركها الإنسان ، وكأن الله دربه على أنه يرفع مستوى استقامته إلى مستوى ينخلع الحجاب بينه وبين الله عز وجل .

الأستاذ نزار :

ماذا نقول للإنسان السريع الغضب والشديد الانفعال في رمضان بحجة صيامه ؟

من صام الصيام الذي أراده الله يأتيه الحلم والأناة والهدوء والرحمة والتبصر :

الدكتور راتب :

والله أنا أتصور العكس ، الإنسان حينما يصوم ترق نفسه ، ويزداد حلماً ، ويزداد صبراً ، أما الذي يصوم صياماً تركاً للطعام والشراب فقط يزداد طبعه حدةً ، هناك فرق ، من صام الصيام الذي أراده الله يأتيه الحلم ، والأناة ، والهدوء ، والرحمة ، والتبصر ، أما الذي يصوم تركاً للطعام والشراب فقط ولم يصم الصيام الذي أراده الله ينعكس هذا ضيقاً في خلقه .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة دنيا - على خلق عظيم : أخلاق القرآن والسنة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 12-08-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ أحمد :

حياكم الله، كانت سيدتنا عائشة تقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن، هلا بسطنا القول في تفصيل هذه العبارة لو سمحتم سيدي؟

الدعوة إلى الله بالعمل الصالح و القول الحسن :

الدكتور راتب :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، و على آل بيته الطيبين الطاهرين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، و ارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين.

أستاذ أحمد، الكون قرآن صامت، والقرآن كون ناطق، و النبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي، ونحن الآن لا يمكن أن نصلح إلا بمسلم نراه بأعيننا يمشي أمامنا، أي إسلام بالكتب لا يؤثر، نريد إسلاماً حقيقياً، لأن الإنسان لا يتعلم بأذنه بل يتعلم بعينه، الناس يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم، والإنسان يمكن أن ينتفع من أي طبيب، من أي مهندس، من أي معلوماتي، هو لا ينظر إلى أخلاقه إطلاقاً، إلا رجل الدين لا يمكن أن تنتفع منه إلا إذا رأيت حركته مطابقة لأقواله، وأية مسافة تبعد أقواله عن أفعاله، تسقط عندئذ الدعوة، لذلك ما من شيء يتذبذب بين أن يكون أقدس عمل على الإطلاق يرقى إلى صنعة الأنبياء، وبين أن يكون أتفه عمل على الإطلاق لا يستأهل إلا ابتسامة ساخرة كالدعوة إلى الله، متى تقترب من صنعة الأنبياء؟ إذا بذلنا من أجلها الغالي والرخيص والنفس والنفيس، أو إذا كنا أخلاقيين، هذا الذي أتمنى أن يكون واضحاً، لذلك الإنسان حينما يستقيم على أمر الله، ويتصل به، لابدّ من أن يحبه الناس، وأنا أكاد أقول: عندي مقياس إن لم يحبك من حولك ففي الإيمان خلل.

مرة عندنا أستاذ في الجامعة له شهرة على مستوى الشرق الأوسط، في حفل وداعه، قال: أي إنسان لا يجد حاجة في نفسه إلى أن يُحِب أو إلى أن يُحَب ليس من بني البشر في إنسانيته، لأن الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وأية دعوة إلى الله لا تخاطب العقل والقلب معاً دعوة عرجاء.

فلذلك الإنسان حينما يتصل بالله يشتق هذا الكمال، أنا الذي أتمنى أن يكون واضحاً أنه ما لم نحكم اتصالنا بالله لن نستطيع أن نكون كما أراد الله من حيث الأخلاق.

الأستاذ أحمد :

سيدي ما أثر هذه الأخلاق الفاضلة عندما يتحلى بها المسلم أو الفرد ما أثرها على الفرد وعلى المجتمع؟

أثر الأخلاق الفاضلة على الفرد و المجتمع :

الدكتور راتب :

صدق ولا أبالغ إذا اكتسبنا هذه الأخلاق التي أرادها الله تصبح الحياة جنة، تصور أنت تعيش بين أناس صادقين، لا يكذبون، أمناء لا يخونون، متواضعون لا يتكبرون، محسنون لا يسيئون، الحياة بلا أخلاق حياة لا تعاش، كنت أقول من باب الطرفة: إن الحياة بلا قيم لا تعاش، لكن مع انعدام القيم أقول: الحياة بلا مكيف لا تعاش، الحياة بلا قيم لا تعاش، حياة حيوانية، أودع الله في الإنسان قوة إدراكية، ما لم تلبَ هذه القوة بمعرفة الله، والانضباط بمنهجه، فالحياة مملة، الإنسان طبيعته هو خلق لمعرفة الله فأي هدف اختاره محدود ينتهي معه، والإنسان دائماً قبل أن يصل إلى أهدافه، يتوهم أنه سعيد أما إذا وصل إليها فيراها تافهة، هذه حقيقة دقيقة السبب أن الإنسان في الأصل لانهائي، مصمم لمعرفة الله، مصمم لمعرفة هدف عظيم، فإذا اختار هدفاً محدوداً كالمال، فإذا جمعه وانتهى من جمعه تصبح الحياة عنده تافهة.

الأستاذ أحمد :

وكل لذة أرضية دنيوية تبدأ كبيرة ثم تتصاغر.

الدكتور راتب :

ولم يسمح الله للدنيا مهما عظمت أن تمدك بسعادة مستمرة، بل بسعادة متناقصة، بل بسعادة تنتهي بالكآبة، الكآبة المرض الأول في العالم، الكآبة ناتجة عن إنسان ابتعد عن الواحد الديان، الإنسان اكتفى بالدنيا والدنيا مملة، نحن دائماً إذا كان هناك شيء لا نملكه نراه شيئاً مهماً، أقول لك مثلاً في بداية الحياة المال كل شيء، في وسط الحياة يراه شيئاً وليس كل شيء، حينما يغادر لا يراه شيئاً إطلاقاً، فالبطولة أن نعرف الحقيقة قبل فوات الأوان.

خيار الإنسان مع الإيمان خيار وقت فقط :

أكفر كفار الأرض فرعون قال:

(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

[سورة النازعات الآية : 24]

عندما أدركه الغرق قال :

(آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ)

[سورة يونس الآية : 90]

معنى ذلك خيارك مع الإيمان خيار وقت فقط، إما أن تؤمن في الوقت المناسب، أو لا قيمة لهذا الإيمان الذي سيأتي بعد فوات الأوان، كما لو إنسان دخل الامتحان ولم يكتب ولا كلمة فأخذ صفر، رجع إلى البيت فتح الكتاب المقرر قرأ الجواب وفهمه، لكن فهمه بعد فوات الأوان.

إذاً قضية الأخلاق أصل كبير من الأصول، وحينما يقول سيد المرسلين: وإنما بعثت معلماً :

((إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ حُسْنَ الأخلاق))

[أخرجه مالك عن بلاغ مالك]

معنى ذلك جعل مكارم الأخلاق فحوى دعوته، والنص الآخر دقيق حينما سأل النجاشي سيدنا جعفر رضي الله عنه فقال:

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه ـ هذا الثلاثي رائع جداً، إن حدثكَ فهو صادق، وإن عاملتهُ فهو أمين، وأن استثيرت شهوتهُ فهو عفيف ـ فدعانا ـ الشاهد هنا ـ إلى الله لنوحده، ولنعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء))

[أخرجه ابن خزيمة عن عفر بن أبي طالب]

المضمون الأخلاقي للإسلام صدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار:

إذا قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((بني الإسلام على خمس))

[أخرجه البخاري وابن خزيمة عن عبد الله بن عمر]

الخمس غير الإسلام؛ هؤلاء أعمدة، الإسلام أخلاق، الإسلام انضباط، الإسلام اعتدال، الإسلام حب الإسلام، الإسلام وفاء، الإسلام صدق، الإسلام أمانة، لذلك:

((وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء))

هذا هو المضمون الأخلاقي للإسلام، لكن مع ضعف الاتصال بالله، ومع ضعف الانضباط، هذه الأهداف النبيلة الأخلاقية لم تحقق.

الأستاذ أحمد :

هل لنا سيدي أن نأخذ نماذج من أخلاق سيد الأخلاقيين النبي عليه الصلاة والسلام.

نماذج من أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام :

الدكتور راتب :

كان النبي عليه الصلاة والسلام في سفر وأرادوا أن يعالجوا شاةً، فقال أحدهم: عليّ ذبحها يا رسول الله، فقال الثاني: وعليّ سلخها، وقال الثالث: عليّ طبخها، فقال عليه الصلاة والسلام : وعليّ جمع الحطب، هو قمة المجتمع الإسلامي، هو رأس هذا المجتمع و مع ذلك رفض أن يميز نفسه، فقالوا: نكفيك ذلك يا رسول الله، قال: أعلم أنكم تكفوني، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه.

شيء آخر، في بدر الرواحل ثلاثمئة، والصحابة ألف، فسيد الخلق وحبيب الحق أعطى أمراً، هو قائد الجيش، أعطى توجيهاً، قال: كل ثلاثة على راحلة، وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة، سوى نفسه مع أقل جندي، هو قائد الجيش، وزعيم الأمة، والرسول، ركب الناقة، فلما جاء دوره في المشي توسلا صاحباه أن يبقى راكباً، والله أجاب إجابة لا أنساها، فقال: ما أنتما بأقوى مني على السير، ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر.

كان رياضياً، قال تعالى:

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)

[سورة القلم الآية : 4]

هذا الكمال، لم يُرَ ماداً رجليه قط، كان يحب المساكين والفقراء، كان متواضعاً، كان أخاً صادقاً، الحديث عن أخلاقه شيء ممتع جداً، ويكفي أن الله وصفه بالخلق العظيم، نحن حينما نقتدي بهذه الأخلاق نتألق، ونكون في الأوج، لكن حينما قصر المسلمون في معرفة سيرة هذا النبي العظيم، بل إنني أرى أن قراءة سيرته عبادة، إنك تطالع نموذجاً فذاً في الكمال البشري، بل أقول لك ولا أبالغ هو قمة الكمال البشري يكفي أن الله أقسم بعمره الشريف، قال تعالى:

(لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)

[سورة الحجر الآية : 72]

الأستاذ أحمد :

أحسن الله إليكم فضيلة الشيخ، بالمقابل هل من الممكن أن نعد سوء الخلق ذنباً من الذنوب؟

الخلق الحسن علامة المؤمن و الخلق السيئ علامة البعيد عن الله تعالى :

الدكتور راتب :

هو أكبر ذنب، هو بعد عن الله عز وجل، هناك حقيقة أولى، ووحيدة، وصارخة، هي الله، فأي اقتراب من الله يكسبك الخلق الحسن، وأي ابتعاد عنه يكسب صاحبه الخلق الذميم، إذا أردت أن تقول ما علامة المؤمن؟ خلقه الحسن، ما علامة البعيد عن الله؟ خلقه السيئ، والحياة بالخلق الحسن جنة، فيها توادد، فيها تحابب:

((وَجَبَتْ محبَّتي للمُتَحَابِّينَ فيَّ، والمُتجالِسينَ فيَّ، والمُتزاورينَ فيَّ، والمتباذلينَ فيَّ المتحابُّون في جلالي لهم منابرُ من نُور، يغبطهم النبيُّون والشهداءُ))

[أخرجه الترمذي ومالك عن معاذ بن جبل]

ولو أننا تمسكنا بهذه الأخلاق التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام لكنا في جنة، الحياة طيبة بذكر الله، طيبة بالعمل الصالح، لكن نحن أحياناً يستقيم أحدنا لكن المجموع لا يلتزم بهذه الاستقامة فالحياة فيها وحشة، أما لو تصورت أن مجتمعاً ملتزماً بأكمله، فهذا شيء لا يصدق.

الأستاذ أحمد :

سيدي لكم قراءة رائعة لقول الله عز وجل:

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

[سورة آل عمران الآية : 159]

كيف تقرؤون صفات المؤمن الحقيقي من خلال هذه الآية؟

الإنسان العظيم هو الإنسان الذي تنعدم المسافة بين أقواله وأفعاله :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن النبي عليه الصلاة والسلام، سيد الخلق، وحبيب الحق، سيد ولد آدم المعصوم، أوتي الوحي، أوتي القرآن الكريم، أوتي المعجزات، كأن الله يقول له: أنت أنت يا محمد مع كل هذه الخصائص معك الوحي، معك القرآن الكريم، كنت جميل الصورة، كنت فصيحاً:

((أنا أفصح العرب))

[أخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري]

كل هذه الكمالات التي تملكها، والخصائص، والميزات، أنت أنت بالذات،

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

فكيف بإنسان ليس معه وحي، ولا معجزات، وليس نبياً، ولا رسولاً، ولا أوتي الفصاحة، ولا البيان، ولا جمال الصورة، ولا الحكمة، وكان فظاً، المشكلة أن الدعوة إلى الله تمتلك القلوب، أنا أقول دائماً: افتح قلوب المدعو بإحسانك ليفتح لك عقله لبيانك، وأنا لا أصدق أن دعوة تنجح إن لم يكن الداعي قدوة، مرة التقيت مع الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ سألته بعد نهاية الجلسة عن نصيحة للدعاة، وكنت أتوقع أن يقول كلاماً طويلاً، فإذا جملة واحدة، قال: ليحذر الداعية أن يراه المدعو على خلاف ما يدعوه.

الأستاذ أحمد :

(كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)

الدكتور راتب :

أنا حينما أرى أن المسافة تنعدم بين أقوال الإنسان وأفعاله أقول: هذا الإنسان عظيم، ونحن الآن بحاجة إلى هذا الإنسان، بحاجة إلى مثل حي، بحاجة إلى مثل نراه بأعيننا، لذلك أنا أكثر من القصص المعاصرة، لماذا؟ هذا المعاصر يعيش ظروفنا، ضغوطنا، إغراءاتنا، مساوئ عصرنا أحياناً، الأشياء التي تسيطر على الناس يعيشها، ومع ذلك انتصر على نفسه، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام بشر، ولولا أنه بشر تجري عليه كل خصائص البشر لما كان سيد البشر.

الأستاذ أحمد :

هل لنا بأمثلة تطبيقية من الواقع المعاصر عن كيف يكون الأستاذ في المدرسة، المدير في الشركة، في الحكومة، كيف يستطيع أن يضخ الأخلاق النبيلة الفاضلة فيمن حوله لأنها تسعد في الدنيا والآخرة؟

من كان أخلاقياً كان أسعد الناس :

الدكتور راتب :

والله أنا لا أصدق أن فاقد الشيء يعطيه، الإنسان إذا كان ذا خلق عظيم، والله كل من حوله يقتدون به، عندنا حالة ليس أن تقتدي به بالقوة ولا بالإكراه، بل أن تقتدي به دون أن تشعر، أنا أقول: لمجرد أن تكون صادقاً، فصدقك دعوة إلى الله، لمجرد أن تكون أميناً، أمانتك دعوة إلى الله، ربما ولا كلمة.

أنا أذكر أن هناك إنساناً فقيراً جداً، عنده ثمانية أولاد، يعمل مستخدماً في مدرسة، يستأجر غرفة، أتيح له أن يرث أرضاً مربعة، في جنوب دمشق في القدم، هذه الأرض أراد بيعها، أخ كريم من محسني هذه البلدة أراد بناء مسجد، وكلف أحد أخوتنا من المهندسين المتفوقين ببناء هذا المسجد، فتساوم مع من يريد أن يشتريها، فاستقر المبلغ على ثلاثة ملايين ونصف، المحسن الكبير فتح دفتر الشيكات وكتب له شيك بمليوني ليرة، قال له صاحب الأرض ـ المستخدم، الحاجب ـ أين البقية؟ قال له: عند التنازل، قال له:

أي تنازل؟ قال له: يا أخي هذه الأرض سوف تغدو جامعاً، ولابد من أن تذهب إلى الأوقاف كي تصرح بالتنازل للأوقاف، قال: هذه الأرض ستغدو مسجداً؟ قال: نعم، قال: أنا أبيع أرضاً تغدو مسجداً؟! قال له: نعم، قال: والله أستحي من الله، ثم أمسك الشيك ومزقه، وقال: أنا أولى بك أن أقدمها لله، وتمّ بناء المسجد.

إنسان مستخدم، دخله لا يكفيه عدة أيام، عنده ثمانية أولاد، تبرع بهذه الأرض لتكون مسجداً! فكان التعليق أن هذا الإنسان المحسن يقول: والله ما صغرت في حياتي كما صغرت أمام هذا المستخدم، الذي قدم كل ما عنده لله.

أستاذ أحمد أنت حينما تكون أخلاقياً أنت أسعد الناس، أنت أكرم الناس، والله يعطيك ما تتمنى، البطولة أن أعرف هذه الحقيقة.

خاتمة و توديع :

الأستاذ أحمد :

بارك الله بكم، وكثّر من أمثالكم، وهذه الأنوار التي تخرج من فمك الشريف إن شاء الله تؤثر في الجميع، نحو عالم أخلاقي، بهيج، سعيد، نقتدي به، بسيد الأخلاقيين النبي عليه الصلاة والسلام.

((..أقرب المؤمنين مجلساً مني يوم القيامة أحسنهم خلقاً))

[رواه الطبراني عن جابر بن سمرة]

وهذه المهمة المتواضعة التي يقدمها هذا البرنامج بمعيتكم إلى حضرات السادة المشاهدين حيث نروج للفضيلة و مكارم الأخلاق.

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة دنيا - على خلق عظيم : التعاون .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-09-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ أحمد:

كالعادة لنبدأ بتعريف الموضوع ما هو التعاون لو تكرمتم؟

تعريف التعاون :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وأصحابه الطيّبين الطاهرين، أمناء دعوته، وقادة ألوِيَتِه، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين.

أستاذ احمد من تصميم الله لهذا الإنسان أنه سمح له أن يتقن حاجة وهو محتاج إلى مليار حاجة، أن يكون في مجتمع هذا قدره، أن يكون في مجتمع يقدم ويأخذ، يأخذ ويعطي، بشكل عام الإنسان يأخذ ويعطي لكن لو تتبعنا ذلك في شريحة أخرى، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، و الأقوياء أخذوا ولم يعطوا، الأنبياء عاشوا للناس، والأقوياء عاش الناس لهم، الأقوياء ملكوا الرقاب، والأنبياء ملكوا القلوب، الأقوياء يمدحون في حضرتهم، والأنبياء يمدحون في غيبتهم، والناس جميعاً تبع لقوي أو نبي، لهذا أحب الناس الأنبياء، وخافوا من الأقوياء، وبطولة الأقوياء أن يتخلقوا بأخلاق الأنبياء.

فأنت تتقن حاجة، هذا مهندس، هذا طبيب، هذا مدرس، هذا صانع، هذا مزارع، كل إنسان سمح الله له أن يتقن حاجة، لماذا؟ من أجل أن يأكل، لولا الحاجة إلى الطعام والشراب ما رأيت على وجه الأرض شيئاً، ما رأيت جامعة، ولا جسراً، ولا طريقاً، ولا معملاً، ولا أي شيء، الحاجة للطعام والشراب جعلت هذا الإنسان كائناً متحركاً، هو يتقن حاجة ويحتاج إلى مليون حاجة، زر القميص خبرات ومعامل، القماش، النظارة التي يضعها الإنسان، الجلد الذي يلبسه في قدمه، أنت بحاجة لمليار حاجة، كل حاجة لها أصول، ولها علوم، ولها تطورات، ولها خصائص، ولها أرباب، فما لم نكن في مجتمع لا نستطيع أن نعيش بدليل لو كلفناك أن تصنع رغيف الخبز تحتاج إلى أرض لتزرعها، وأن تسقيها، وأن تسمدها، وأن تحصدها، وأن تطحنها، وأن تخبزها، أين؟ تشتري رغيفاً جاهزاً، أنت مدرس تعلم، طبيب

تطبب، أنت تتقن حاجة وتحتاج إلى مليون حاجة، أن تكون في مجموع هذا قدرك شئت أم أبيت، لكن وأنت في مجموع إما أن تصدق، أو لا سمح الله ألا تصدق، إما أن تتقن أو لا تتقن، إما أن تكون صالحاً أو لا تكون كذلك، إما أن تكون منصفاً أو لا تكون كذلك، وأنت مضطر إلى أن تعيش مع من حولك، إما أن تتعاون معهم أو لا تتعاون، فالتعاون فرز، بل إن كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، قال تعالى:

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)

[سورة المائدة :2]

قال علماء التفسير: البر صلاح الدنيا والتقوى صلاح الآخرة.

الأمر الإلـهي وكل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب :

أستاذ أحمد لا أكتمك أن الطرف الآخر يتعاون إلى أقصى الحدود، يتعاونون وبينهم خمسة بالمئة قواسم مشتركة، ونحن مع الأسف الشديد نتنافس وبيننا خمسة وتسعون بالمئة قواسم مشتركة، هذا شيء مؤلم جداً، الغرب إن صنع لعبة للأطفال لا تصلح إلا بالتعاون، يدخل التعاون مع دمه، فأكبر صفة للمجتمع القوي أنه متعاون، وأضعف صفة وأسوء- صفة للمجتمع المتخلف أنه متنافس، لذلك أنا أقول: التعاون حضارة، التعاون دين، التعاون وطنية، التعاون تقدم، التعاون قوة، لذلك الأمر الإلهي وكل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب.

أستاذ أحمد نحن عندنا وهم أحب أن أوضحه، أن الإنسان إذا صام وصلى وحج وزكى فقد أدى كل ما عليه، أنا أقول لم يؤد شيئاً، المنهج الإلهي يقترب من خمسمئة ألف بند، يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية، منهج كامل، فكيف تتعاون مع زملائك في الحرفة؟ نحن حينما نتنافس نضعف جميعاً:

(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا)

[سورة الأنفال: 46]

ماذا يقابل التعاون التنازع:

(وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)

[سورة الأنفال الآية: 46]

تناقض الطبع مع التكليف ثمن الجنة :

لذلك أنا حينما أكون ديناً أتعاون، فكرة دقيق الإنسان معه طبع، ومعه تكليف، ولحكمة بالغة بالغة التكليف يتناقض مع الطبع، بمعنى أنك تريد أن تنام والتكليف يكلفك أن تستيقظ لصلاة الفجر، تناقض الطبع مع التكليف، الطبع تأخذ المال، التكليف أن تنفقه، الطبع أن تخوض في فضائح الناس، التكليف أن تصمت، الطبع أن تملأ عينك من محاسن النساء والتكليف أن تغض البصر، هناك طبع أي خصائص طبعية في الإنسان، وهناك تكاليف تتناقض معها، ما هو ثمن الجنة؟ هذا التناقض بين الطبع والتكليف ثمن الجنة، والدليل:

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)

[سورة النازعات: 40-41]

استنبط من هذا التقديم أن الإنسان يتعاون، لأن التعاون تكليف بقدر طاعته لله، ويتنافس لأن التنافس طبع بقدر بعده عن الله، إن رأيت مجتمعاً متعاوناً فهذا المجتمع قريب من الله، إن رأيت مجتمعاً متنافساً هذا المجتمع بعيد عن الله، فالتعاون حضارة، التعاون رقي، التعاون أخلاق، التعاون خير لكل من تعاون.

الأستاذ أحمد:

سيدي بعد هذا التعريف الجامع المانع جزاكم الله خيراً التعاون في القرآن، ألا تشير كلمة:

(أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ)

[سورة الأنعام: 65]

هذه ليست من آلام التنافس ومن مصائب التنافس؟

التعاون فضيلة ودين و خلق و قوة :

الدكتور راتب:

الحقيقة:

(قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ)

[سورة الأنعام الآية: 65]

هذه الصواعق، والآن الصواريخ:

(أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ)

[سورة الأنعام الآية: 65]

هذه الزلازل، والألغام حديثاً:

(أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ)

[سورة الأنعام الآية: 65]

هذه الحروب الأهلية، هي أشدها، أشد ما يصاب به المجتمع، الحرب الأهلية:

(قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ)

[سورة الأنعام الآية: 65]

السبب هو التعاون، بالتعاون تحل هذه المشكلة، التعاون فضيلة، التعاون دين، التعاون خلق، التعاون حضارة، التعاون قوة، لذلك جاء الأمر صريحاً.

التعاون قيمة علمية وقيمة خلقية في وقت واحد :

نحن عندنا قاعدة، كل أمر قرآني يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك، قال تعالى: وتعاونوا، على ماذا؟ قال تعالى:

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)

[سورة المائدة الآية:2]

قال علماء التفسير: البر صلاح الدنيا، أي تأمين سكن شبابي، تأمين فرص عمل، استخراج الثروات، تصنيع هذه الثروات، حل مشكلات السدود، تأمين سقيا للمزروعات، استصلاح الأراضي، وهذا كله يحتاج إلى تعاون، والمجتمع المتقدم الآن متعاون جداً، والمجتمع المتخلف متنافس، والتعاون قمة في الانضباط وقمة في الأخلاق، وأحياناً تأتي القيم مشتركة بين العلم وبين الخلق، فالتعاون قيمة علمية وقيمة خلقية في وقت واحد، يقابله التنافس، التنافس تضيع قوانا فيما بيننا:

(بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ)

[سورة الحشر:14]

تجد أحياناً أننا نحن نستورد لا نصدر، نتنافس ولا نتعاون، هذه كلها وصمات عار في حقنا، أمة تعد ملياراً ونصف:

((ولن يُغْلَبَ اثنا عَشَرَ ألفا مِنْ قِلَّةٍ))

[أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس]

فكيف إذا كانوا ملياراً وخمسمئة مليون وليست كلمتهم هي العليا وليس أمرهم بيدهم وللطرف الآخر عليهم ألف سبيل وسبيل؟ لأنهم لا يتعاونون، أستاذ أحمد للتقريب، بلدنا سوريا الطيبة فيها مئة وخمسة وثمانون ألف كيلو متر مربع، ربع هذه المساحة صالحة للزراعة فقط، المزروع منها ربع الربع، مزروع واحد على ستة عشر، ومع ذلك عندنا ستة ملايين طن من القمح لكل سنة، واستهلاكنا مليون،

في الزيتون تعد الدولة الرابعة في العالم، عندنا في الحمضيات سبعمئة ألف طن، هذا واحد من ستة عشر، سأنقلك إلى السودان، اثنان ونصف مليون كيلو متر ونهر النيل معظمه يضيع في البحر، يحتاج هذا البلد إلى ثمانية مليارات من أجل بنية تحتية، وهناك ثلاثة آلاف مليار في العالم الغربي للمسلمين، شيء مؤلم جداً لو تعاونا والله لحلت كل مشكلاتنا.

قيمة الإنسان بما يعطي لا بما يأخذ :

أنا أقول: عدم تعاوننا وصمة عار في حقنا، والتعاون يقوينا جميعاً، نحتل أفضل أماكن في العالم، معنا أكبر ثروات في العالم، والشعوب الإسلامية أفقر شعوب في العالم، هذا شيء مؤلم.

وأنا أسمح لنفسي أحياناً أن أتكلم بالحقيقة المرة لأنها في نظري أفضل ألف مرة من الوهم المريح، لو تعاونت هذه الأموال الطائلة المودعة في الغرب مع تنمية حاجات المسلمين في بلادهم، و تأمين أراض مستصلحة، تأمين معامل، استخراج ثروات، تعليم الشباب، الآن تعليم الشباب شيء أساسي، الشباب أمل الأمة، الشباب هم المستقبل، هؤلاء الشباب يحتاجون إلى فرصة عمل، ومسكن، وزوجة، إن لم تلبَّ هذه الحاجات هم أمام تطرفين، تطرف تشددي التكفير ثم التفجير، وتطرف تفلتي الإباحية، هؤلاء الشباب هم المستقبل، أمل الأمة، حاجاتهم معقولة جداً؛ تأمين بيت، يحتاج إلى تعاون، تأمين فرصة عمل، أنا عندما أرى إنساناً عنده عمال كثر أحترمه كثيراً، مرة قال لي أخ من أخواني: ما عدت أربح شيئاً، أرباحي صفر، قلت له: كم عامل عندك؟ قال لي: عندي أربعة وثمانون عاملاً، قلت له: هذا أكبر ربح، أنت تفتح إذاً أربعة وثمانين بيتاً ضرب خمسة أفراد – مثلاً إذا افترضنا أن في كل بيت خمسة أفراد - حوالي خمسمئة إنسان يأكلون من هذا المعمل، هذا أكبر ربح، أنا أشكره أنه لم يبع المعمل، أنت حينما ترى أن قيمتك بما تقدم لا بما تأخذ، نحن بطولتنا أن نعطي لا أن نأخذ، كما قلت قبل قليل: الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، لذلك هم قمم البشر، التعاون أحد أسباب قوتنا.

الأستاذ أحمد:

في القرآن تتمة لموضوع التعاون، قال تعالى:

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا)

[سورة آل عمران: 103]

ما هي منكرات وخسائر ومصائب الفرقة؟

منكرات وخسائر ومصائب الفرقة :

الدكتور راتب:

الضعف والدليل:

(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا)

[سورة الأنفال: 46]

عفواً إما أن يكون بأسنا على خصومنا، أو يكون بأسنا بيننا، أنا أقول: المسلمون إذا تعاونوا معهم قدرات مذهلة والله عندهم ثروات لا يعلمها إلا الله، يحتلون مواقع استراتيجية مذهلة، لهم دخول فلكية، بتعاونهم هم الشعوب الأولى في العالم، لكن بتنافسهم ضاعت هذه القوة، فالتعاون أنا أعده حضارة، أعده ديناً، أعده ذكاء، أعده عقلاً، أعده تفوقاً، أعده ضرورة ملحة.

الأستاذ أحمد:

لو نزلنا قليلاً إلى داخل المجتمع إلى المهن وأشرف المهن في الدنيا هي مهنة الدعوة إلى الله، ألا يجب أن يشتبك الدعاة إلى الله في وحدة قلبية واحدة؟

ما من حاجة تحتاجها الأمة الإسلامية كالتعاون :

الدكتور راتب:

الدعوة إلى الله دعوتان؛ دعوة إلى الله خالصة، ودعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله، الدعوة إلى الله الخالصة من خصائصها الاتباع لا الابتداع، والدعوة إلى الذات من خصائصها الابتداع، الدعوة إلى الله الخالصة من خصائصها التعاون، والدعوة إلى الذات من خصائصها التنافس، الدعوة إلى الله الخالصة من خصائصها الاعتراف بالآخر، والدعوة إلى الذات من خصائصها إلغاء الآخر، فلذلك نحن نقوى بالتعاون، نتحابب بالتعاون:

((وَجَبَتْ محبَّتي للمُتَحَابِّينَ فيَّ، والمُتجالِسينَ فيَّ، والمُتزاورينَ فيَّ، والمتباذلينَ فيَّ المتحابُّون في جلالي لهم منابرُ من نُور، يغبطهم النبيُّون والشهداءُ))

[الترمذي ومالك عن معاذ بن جبل]

أستاذ احمد ذكرت لك قبل قليل أن الألعاب التي تصنع لأولاد الطرف الآخر، لا يمكن أن تنجح إلا بالتعاون، يدخل التعاون كالكرية في دمهم، ونحن ندخل التنافس في دمنا، لذلك أنا مرة قرأت في إعلان عن وظيفة في هولندا لفت نظري كله مألوف السن والشهادات إلى آخره لكن هناك فقرة واحدة لا أجدها في مجتمعاتنا يصلح للعمل ضمن فريق، هناك إنسان لا يصلح أن يعمل ضمن فريق، يتنافس، أما

المؤمن فيصلح للعمل ضمن فريق، وإذا عز أخوك فهن أنت، التنازل فضيلة، تتنازل لأخيك هذه فضيلة.
أنا أرى ما من حاجة نحتاجها كأمة كالتعاون، والتعاون نتعاون فيما اتفقنا، وينصح بعضنا بعضاً فيما اختلفنا.

الأستاذ أحمد:

الآن حينما نفطر سوياً، ونتسحر سوياً، ونصلي سوياً، ونذهب للتراويح سوياً، أليس ضمن مفاهيم الصلاة ونحن في شهر التعاون وشهر الصلاة نَفَس يشير إلينا أن نكون كلنا قطعة واحدة متماسكة؟

أنواع الاختلاف :

الدكتور راتب:

إلهنا واحد، نبينا واحد، كتابنا واحد، بالمناسبة - والكلام دقيق جداً - الاختلاف أنواع ثلاثة، اختلاف طبيعي ليس مذموماً ولا محموداً نقص معلومات، نحن في التاسع و العشرين من شعبان سمعنا صوت انفجار، يا ترى مدفع رمضان أم انفجار؟ لا نعرف، اختلفنا هذا الاختلاف طبيعي، نقص المعلومات، أما هناك اختلاف قذر:

(وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ)

[سورة آل عمران: 19]

هذا اختلاف الحسد، اختلاف التنافس، اختلاف الأهواء هذا اختلاف قذر، و هناك اختلاف بالاجتهاد، هذا اجتهد أن الخير أن يكون داعية، وهذا اجتهد أن الخير أن ينفق ماله، أن يبني مستشفى، أن يبني معهداً شرعياً، نختلف في اجتهاداتنا، هذا اختلاف تنافس، وهناك اختلاف قذر اختلاف أهواء ومصالح، و هناك اختلاف طبيعي، فالاختلاف لا بد منه لكن أن يكون محموداً؛ اختلاف تنافس.

الأستاذ أحمد:

(وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ)

[سورة الروم :22]

الاختلاف تنوع يجب ألا يتحول الاختلاف إلى خلاف، والنقاش إلى أن ندخل في موضوع نختلف فيه، السؤال الأخير نختم به لو سمحتم، عندما يكون الفرد المسلم متبنياً لفضيلة التعاون ضمن مجموعة غير متبنية لهذا الموضوع كيف يقنعهم بأنه يجب أن نتشارك جميعاً في نفس البوتقة؟

إقناع المسلم الآخرين بالتعاون بأفعاله ثم بلسانه :

الدكتور راتب:

والله هو يقنعهم بلسانه، والأقوى أن يقنعهم بأفعاله، حينما يستشيرهم يقدم لهم خبرته، يقدم لهم بعض إنجازاته، يسألهم، دائماً الإنسان الناحية النظرية قد لا تكون كافية، أما العملية فإذا كانوا أصحاب حرفة تعاونوا ربحوا جميعاً، فإذا تنافسوا خسروا جميعاً، أقول لك دائماً الذي يضعف العمل التجاري التنافس، أما لو تعاون التجار، وضعوا أسعاراً محددة معقولة، ما ضارب بعضهم على بعض، فيرتقون جميعاً.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس